بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية

لسنة ٢٠١٩ - ٢٥٥١

التوبة

في المنظور الإسلامي

سيّد شبيب مهدي الخرسان

الإهداء

إلى / الوالدين العزيزين.

إلى / الأسرة الكريمة.

إلى / أبطال الحشد الشَّعبيّ.

إلى / الشَّهداء كافة.

إلى / الشَّهيد السَّعيد شقيقي سيّد حمزة الخرسان.

المقدّمة

الحمد لله الحيّ القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم وصلّى الله على الأمين على وحيه والممدوح في كتابه حيث قال (وإنَّك لعلى خلق عظيم) محمد وأله الطّاهرين الذين جعلهم قادة للعالمين.

أمَّـا بعدُ:

إنَّ التَّوبة باب مفتوح فتحه الله لعبادة؛ ليخرجهم من الظّلمات إلى النّور، قال أمير المؤمنين (عليه السَّلام): «**باب التَّوبة مفتوح لمن أرادها، فتوبوا إلى الله توبة نصوحا**»(١)

وهو باب حرمة فمن دخله وجد الله توابًا رحيمًا، والّذي فرض على نفسه القبول تفضلًا ومِنَّة مِنْه تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾(٢) ما على الإنسان إلاّ أن يولج في هذا الباب؛ ليفوز في الدَّارين من خلال العفو ومحو السيئات اللذين يكونان النَّتيجة

(١) أبو الفتح الكراجكي، كنز الفوائد: ١ / ٣٥٢.
(٢) الشّورى: ٢٥.

الطَّبيعيَّة للتوبة حسب المعطيات الإلهيَّة.

يتألف هذا الكتيب من مقدمة وتمهيد، ثمَّ ندخل في صلب الموضوع الذي هو التَّوبة معناها ووجودها في القرآن والسّنة بالآيات والرّوايات، ثمَّ أثبتنا أنَّ التَّوبة واجبة بالكتاب والسّنة والإجماع والعقل، بعد ذلك قلنا على أنَّ التَّوبة تشتمل على صفة العمومية: أي لا تختص بشخص دون آخر ولا بفئة دون أخرى ولا بحال دون آخر، ثمَّ أنَّ الله سبحانه وتعالى دعا إلى التَّوبة، وكانت دعوته تعالى من دخل باب التَّوبة يُغفر له، وهي الّتي كانت له ابتداءً، وهو الّذي كتب على نفسه قبولها تفضّلا منه ورحمة، وتكلمنا في المحطة الأخيرة عن الدّعاء وآثاره في غفران الذّنوب، وأخذنا مصداقين للدعاء: دعاء نبي الله يعقوب لأولاده، ودعاء الإمام المنتظر (عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف) لشيعته وبهذا القدر أنهيها الكتيب بفضل الله ومَنّه والحمد له أولًا وآخرًا.

تمهيد

لَّما كان بحثنا عن التَّوبة، فارتأينا أن نمهد له واخترينا موضوع التمهيد على شكل سؤال، ما هو السَّبب الرَّئيسي الذي قاد الإنسان إلى التوبة؟ هو الذنب.

قال الرَّاغب الأصفهاني: والذَّنب في الأصل الأخذ بذنب الشَّيء، يقال ذنبته أثبت ذنبه، ويستعمل في كلّ فعل يستوخم عقباه اعتبارًا بذنب الشَّيء، ولهذا يسمى الذَّنب تبعة اعتبارًا؛ لما يحصل من عاقبته، وجمع الذَّنب ذنوب قال تعالى: ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾[1][2]

والذَّنب: الإثم والجرم والمعصية، والجمع ذنوب وذنوبات جمع الجموع.[3]

فالذّنب يطلق على كلّ ما يقترفه الإنسان من معاصي للتشريعات الإلهيَّة الّتي أوجبها الله على عباده، ويسمى مرتكبها مذنبًا؛ ونتيجة لذلك يستحق المذنب العقوبة ازاء مخالفته ومعصيته، ولمّا كان في هذه الحالة، فلم يتركه الله على حالته هذه؛ ليصيبه اليأس، ويغرق في بحر من الذّنوب، إنَّما فتح له باب التَّوبة؛ ليرجع إلى مساره المعتدل وفطرته السَّليمة؛ ليكون فردًا صحيحًا سالمًا مرَّ بحالة مرضيَّة فشفي منها؛ نتيجة لتناوله الدَّواء المناسب ألَا وهو التَّوبة، أمَّا الإنسان المذنب الّذي لا يدخل هذا الباب مثله، مثل المريض الّذي لا يتناول الدَّواء، فيستفحل عليه حتَّى يقضي عليه، فالإنسان

(١) آل عمران: ١١.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ١٨٨.

(٣) ابن منظور، لسان العرب: ٥ مادة (ذنب)

من كثرة ذنوبه يستفحل عليه داؤه، فيمنعه من تأثير الوعظ والارشاد، وبالتَّالي من دخول التَّوبة الواسعة والتي هي رحمة للعباد، فالحذر كلّ الحذر من العناد ووسوسة الشَّيطان حتَّى نصير من الطّراز الأول من المذنبين الذين قفلت قلوبهم وعميت أبصارهم، فهم في غفلة يتيهون، وعن الهدى عمون، وفي الآخرة هم الخاسرون، عن الأصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين (عليه السَّلام): «ما جفت الدّموع إلّا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذّنوب»(١) فكثرة الذّنوب هي التي تقفل القلوب، وتجعلها بعيدة كلّ البعد من الرّجوع إلى سكة الصَّواب وطريق المستقيم، وتجعل عليها أكنّة، فلا تفقه ممَّا يقال لها من الهدى ويرسم لها من طريق الحق، وعليه فليكن الإنسان دائمًا في ذكر الله تعالى من تهليل أو تسبيح أو تحميد أو صلاة أو غير ذلك حتَّى يكون قريبًا من الله عَزَّ وجَلَّ وبعيدًا عن الغفلة، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر، عن أبيه (عليهم السَّلام) قال: «**أوحى الله عَزَّ وجَلَّ إلى موسى عليه السَّلام يا موسى، لا تفرح بكثرة المال ولا تدع ذكري على كلّ حالة، فأنَّ كثرة المال تنسي الذّنوب وأنَّ تركَ ذكري يقسي القلوب**»(٢) إنَّ بعض الأفعال الّتي يقوم بها الإنسان

(١) الشَّيخ الصَّدوق، علل الشرَّائع: ١ / ٨١.

(٢) الشَّيخ الصَّدوق، علل الشرَّائع: ١ / ٨١.

لها آثار وضعية مثل كثرة المال وترك الذّكر كما في هذه الرواية، والذّنوب لها آثار وضعية تؤثر حتّى على نفس الإنسان وتؤخر مسيرته التّكامليّة الّتي أرادها الله منه، فيكون فردًا مستهلكًا أكثر ممًّا يكون منتجًا في المجتمع، واعتبر القرآن بعض المعاصي الّتي يرتكبها الإنسان مرضًا يصيب القلب كالنّفاق قال تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(١) وهذا المرض يترك آثار وخيمة على نفسيَّة الإنسان حتَّى أنَّه يؤثر على تصورات الإنسان للمسائل والأمور التي يتعاطاها قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾(٢)

قال في الأمثل (٣) (إذا كان الفرد مؤمنًا، فالإيمان يتجلىّ في كلّ وجوده، وإذا كان منحرفًا، فظاهره وباطنه يدلان على انحرافه وازدواجيَّة الجسم والرّوح مرض آخر وعلة اضافية، أنَّه نوع من التّضاد والانفصال في الشَّخصيَّة الإنسانيَّة: في قلوبهم مرض وبما أنّ سِنَّة الله في الكون اقتضت أن يتيسر الطّريق لكل سالك، وان تتوفر سبل التقدم لكل من يجهد في وضع

(١) البقرة: ١٠.

(٢) البقرة: ١١و ١٢.

(٣) للشَّيخ ناصر مكارم الشَّيرازي: ١ / ٩٤.

قدمه على طريق وبعبارة اخرى: أنَّ تكريس أعمال الإنسان وأفكاره في خط معين، تدفعه نحو الانغماس والثّبات في ذلك الخط فقد أضاف القرآن قوله: فزادهم الله مرضا) فالنّفاق مرض يصيب القلب وأمير المؤمنين (عليه السَّلام) يصف لنا المنافقين بوصف رائع، فيقول (عليه السَّلام) «**أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحذّركم أهل النّفاق، فأنَّهم الضَّالون المضلون، و الزَّالون المزلون، يتلَونون الوانًا ويفتنون افتنانًا، ويعمدونكم بكلّ عماد ويرصدونكم بل مرصاد قلوبهم دوية، وصفاصهم نقية يمشون الخفاء ويدبون الضراء وصفهم دواء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العباء حسدة الرَّخاء ومؤكدوا البلاء، ومقتطوا الرَّجاء، لهم بكلّ طريق سريع وإلى كلّ قلب شفيع، وإلى كلّ شجو دموع يتقارضون الثّناء ويتراقبون الجزاء: ان سألوا الحفو[1] وان عذلوا كشفوا....**»[2] وهكذا تكون آثار الذنوب تختلف باختلافها.

آثار الذّنوب

للذنوب آثار وضعية تركت بصماتها على مرتكبيها وكان أثقال أوزارها على مرتكبيها، فحطّت من أعمالهم، وخفّفت كفة أوزانهم، وكثرت سيئاتهم،

(١) الحفوا بالغوا في السّؤال والحو، وان عذلوا اي لاموا، كشفوا اي فصحوا من يلومونه.

(٢) شرح محمد عبده، نهج البلاغة: ٣٨١.

فكانت عاقبتهم سوءاً ومن هذه الآثار:

١- أن تكون الذنوب مانعًا من استجابة الدّعاء كسوء النّيَّة وخبث السَّريرة وتأخير الصّلوات المفروضة حتَّى تذهب أوقاتها، وترك التَّقرب إلى الله تعالى بالصَّدقة واستعمال البداء والفحش من القول، روي عن رسول الله صلّى الله عليه وأله «**إنَّ الله لا يحب كلّ فاحش متفحش**»(١) وقال علي (عليه السَّلام): «**صدقة السّر فأنَّها تطفئ الخطيئة وتطفئ غضب الرَّب**»(٢)

٢- ومنها ما يقطع الرَّجاء كاليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله والثقة بغير الله والتّكذيب بالقدر قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾(٣)

٣- ومنها ما يهتك العصم كشرب الخمر واللّعب بالقمار وتعاطي ما يضحك النَّاس من اللّهو والمزاح وذكر عيوب النَّاس، ولذا ورد في دعاء كميل بن زياد: «**اللّهمَّ اغفر لي الذّنوب الّتي تهتك العصم...**» وكذلك ورد في المزاح:

لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فيجترئ عليك، وقول

(١) كنز العمال: ٧٨ / ١٨١.

(٢) الشَّيخ الصَّدوق، علل الشرَّائع: ١ / ٢٤٧.

(٣) الحجر: ٥٦.

الشَّاعر

إيـــاك إيـــاك المـــزاح فـإنـه إلى الـشر دعـاء وللشر جالب

وقالت امرأة:

وإيـــاك إيـــاك المـــزاح فـإنـه يطمّع فيك الطفل والرّجل النَّذلا
ويذهب ماء الوجه بعد حيائه ويـورث بعد العز صاحبه ذِلّا

٤- ومنها ما ينزل البلاء كترك اغاثة الملهوف وترك معاونة المظلوم وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

روي عن أمير المؤمنين (عليه السَّلام) أنَّه قال لكميل بن زياد: «يا كميل، مُرْ أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، ويدلجوا في حاجة من هو نائم، فو الذي وسع سمعه الأصوات، مامن أحد أودع قلبًا سرورًا إلّا وخلق الله له من ذلك السّرور لطفًا، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتَّى يطردها عنه تطرد غريبة الابل)[١] وكذلك ورد في دعاء كميل بن زياد (اللّهمَّ اغفر ليّ الذّنوب الّتي تنزل البلاء»

٥- ومنها ما يعجل الفناء لقطيعة الرَّحم واليمين الفاجرة والأقوال الكاذبة وسد طرق المسلمين قال الله تعالى:﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ

(١) نهج البلاغة قصار الحكم: ٢٥٧.

تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾(١) وقال أيضًا: «**ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض**)(٢) **وروي عن الإمام العسكري (عليه السَّلام) قوله: «جعلت الخبائث في بيت، وجعل مفاتحه الكذب»**(٣)

٦- يمكن أن تتعدى آثار الذّنوب من الجانب الفردي إلى الجانب الاجتماعي، فتتحول الذّنوب إلى كوارث اجتماعية كالفقر والجفاف وذهاب العزّة والكرامة فقال الإمام الصَّادق (عليه السَّلام): «**إذا فشا أربعة ظهرت أربعة، إذا فشا الزّنا ظهرت الزّلزلة وإذا فشا الجور في الحكم، أحتبس القطر، وإذا خفرت الذّمة أديل لأهل الشّرك من أهل الإسلام، وإذا منعوا الزّكاة ظهرت الحاجة**»(٤)

وهذه هي آثار الذّنوب التي تفقر الظّهر وتؤدي بصاحبها إلى نار جهنم، لكن الإنسان يمكن أن يتوب عمّا فعله من ذنب وتغفر له ذنوبه، فتكون التّوبة سببًا لغفران الذّنوب التي هي عبارة عن النَّدم على ما فات والعمل فيما هو آت كما سيتضح ان شاء الله تعالى.

---

(١) محمد: ٢٢.

(٢) الرعد: ٢٥.

(٣) الشَّهيد الأول، الدّرة الباهرة: ٤٣.

(٤) الحرّ العاملي، وسائل الشَّيعة: ١١ / ٥١٤.

التَّوبة

توب: التَّوبة:

الرجوع من الذّنب، وتاب إلى الله يتوب توبًا وتوبة ومتابًا، أناب ورجع عن المعصية إلى الطّاعة ورجل توّابُ: تائب إلى الله، والله تواب يتوب على عبده وقوله تعالى ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾[١]

وقال الشيخ المفيد والعلّامة الحلي:[٢] (معنى التّوبة الرَّجوع عن المعصية).

وقال في مجمع الفائدة:[٣] (التّوبة: هي النَّدامة والعزم على عدم الفعل؛ لكون الذَّنب قبيحًا ممنوعًا شرعًا وامتثالًا لأمر الله ولم يكن غير ذلك مقصودًا.

وجاء في تعريف التَّوبة أنَّها عبارة عن:

أ: النَّدم، تكون الذّنوب حائلة دون القرب من الله تعالى، والتّأسف على ما صدر سواء كان فعلًا محرمًا أو تركًا واجبًا وهذا التّألم والتّأسف يسمى

---

(١) ابن منظور، لسان العرب: ٢ / ٥٥ (مادة توب)

(٢) أوائل المقالات وكشف المراد: ٩٩، ٢٦٣.

(٣) المحقق الأردبيلي: ١٢ / شرح ٣٢١.

ندمًا[١]

قال في مجمع البيان:[٢] (التَّوبة: النَّدم على المعصية مع العزم على أن لا يعود إلى مثلها في القبح وجاء في الحديث «**النَّدم توبة**»[٣]

وفي حديث آخر (النَّدم أحد التَّوبتين)

وقد ورد في دعاء الإمام زين العابدين (عليه السَّلام) في طلب التَّوبة «**اللّهمَّ إنْ يكن النَّدم توبة إليك، فأنا أندم النَّادمين وإنْ يكن التَّرك لمعصيتك إنابة، فأنا أول المنيبين وإنْ يكن الاستغفار حطة الذّنوب، فأنّي لك من المستغفرين**»

ب: وينبعث من القلب أثر هذا النَّدم حالة أخرى تسمى إرادة وقصد إلى فعل له تعلق بالحال، فيترك الذنب.

ج- والاستقبال: بعزمه على ترك الذّنب مستقبلًا، والتَّلافي لما فات بالجبر والقضاء.

قال العلّامة الحلي: (التَّوبة هي النَّدم على المعصية؛ لكونها معصية،

---

(١) محمد مهدي النراقي، جامع السعادات: ٣ / ٥٠.

(٢) للشَّيخ الطّبرسي: ٣ / ٣٩١.

(٣) مسند أحمد: ١ / ٣٧٦.

والعزم على ترك المعاودة في المستقبل.

إذن هذه الأمور الثّلاثة الحاصلة عند المكلف تسمى التّوبة من حال التّألم والتّأسف الذي يولد النّدامة ومن أثر النّدامة الذي يولد حالة الإرادة والقصد بترك الذّنب والحالة الثّالثة التي تمثل العمل فيترك المكلف الذّنب مستقبلًا وقضاء مافات ومنه أداء ما تعلقت الذّمة به من حقوق الله وحقوق العباد، وهذا المعنى ورد في حديث أمير المؤمنين (عليه السّلام) قال: «**التّوبة يجمعها ستة أشياء: على الماضي من الذّنوب النّدامة، وللفرائض الإعادة، ورد المظّالم، واستحلال الخصوم، وأن تعزم أن لا تعود، وأن تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في معصية الله، وان تذيقها مرارة الطّاعة كما أذقتها حلاوة المعصية**»[١]

وفي تفسير الصّافي: [٢] (التّوبة بمعنى الرّجوع والإنابة، فإذا نُسبت إلى الله تعالى تعدت ب(على) وإذا نسبت إلى العبد تعدت ب(إلى) ولعلّ الأول لتضمين معنى الإشفاق والعطف، ومعنى التّوبة من العبد رجوعه إلى الله تعالى بالطّاعة والانقياد بعد ما عصا وعتا. ومعناها من الله رجوعه بالعطف على عبده بالهامه التّوبة أولًا، ثمّ قبوله إيّاها منه آخرًا، فلله توبتان

(١) الشّيخ فخر الدين الطّريحي: مجمع البحرين: ٢ / ١٥.

(٢) للفيض الكاشاني ج١ ص١٠٥

وللعبد واحدة بينهما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(١) أي ألهمهم التَّوبة ليرجعوا، ثمَّ إذا رجعوا قبل توبتهم؛ لأنَّه هو التَّواب الرَّحيم.

التوبة في القرآن

جاء القرآن الكريم بآيات مبينة وحاثة على التَّوبة منها: ـ

١ - ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(٢)

تبيّن معنى التوبة فيما تقدم على تفسير الصَّافي ولا نكرر.

قال في مجمع البيان(٣) (إنَّ كلَّ معصية يفعلها العبد جهالة وإن كان على سبيل العمد، لأنّه يدعو اليها الجهل وزينها للعبد عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله (عليه السَّلام) فأنَّه قال: «كل ذنب عمله العبد وإن كان عالمًا، فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربّه، فقد حكى الله تعالى قول يوسف لإخوته: (هل علمتم ما فعلتم

(١) التوبة: ١١٨.

(٢) النساء: ١٧.

(٣) للشَّيخ الطّبرسي: ٣/ ٤٣.

بيوسف وأخيه إذ كنتم جاهلون) فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله» وقال مثل ذلك العياشي في تفسيره[١]

فالإمام (عليه السَّلام) بقوله هذا وسَّع من دائرة التَّوبة ليكن الإنسان يطمع في دخولها، وهذا نوع من الحث والتّشجيع لدخول هذه الدَّائرة، ودخول هذه المساحة الواسعة من رحمة الله تعالى التي جعلها وفتح بابها للتائبين، فما على الإنسان المذنب إلّا الالتفاتة البسيطة والقدحة الصَّغيرة، وإذا به داخل إلى هذه الدّائرة من رحمته تعالى التي وسعت كلّ شيء، فإذن الإنسان عليه أن يبدأ بخطوة؛ ليتقرب من السَّاحة الإلهيَّة والرَّحمة الرَّبانية؛ ليغفر ذنوبه ويرجع إلى الطّريق المستقيم وإلى شريعة رسول ربّ العالمين قال صاحب الميزان:[٢] (إنَّ الجهالة في باب الأعمال اتيان العمل عن الهوى، وظهور الشَّهوة والغضب من غير عناد مع الحق، ومن خواص هذا الفعل الصَّادر عن جهالة أن إذا سكنت ثورة القوى وخمد لهيب الشهوة او الغضب بإقتراف للسيئة او بحلول مانع او بمرور زمان او ضعف القوى بشيب او مزاج، عاد الإنسان إلى العلم وزالت الجهالة، وبانت النَّدامة بخلاف الفعل الصَّادر عن عناد وتعمد ونحو ذلك، فإنَّ سبب صدوره

(١) محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي: ١ / ٢٢٨.
(٢) للسيد الطّباطبائي: ٤ / ٢٣٩-٢٤٠.

لما لم يكن طغيان شيء من القوى والعواطف والأميال النَّفسانيَّة بل أمرًا يسمى عندهم بخبث الذّات ورداءة الفطرة لا يزول بزوال طغيان القوى الاميال سريعًا أو بطيئًا بل دام نوعًا بدوام الحياة من غير أن يلحقه من قريب إلّا أن يشاء الله)

وبهذا توضح أكثر قول الإمام (عليه السَّلام): (... وان كان عالمًا فهو جاهل. فعمل السَّوء بجهالة يشمل كل ذنب يرتكبه الإنسان وإن كان عامدًا والمقصود من العمد هنا بأنَّ الإنسان يرتكب الذّنب؛ لشهوة أو غضب أو هوى أو غير ذلك الذي يحصل النَّدم عنده سرعان ما تزول هذه الأمور المعبر عنه بالتَّوبة. أمَّا المعاند والمكابر الذي يعمل السّوء باصرار وترقب، فهو بعيد عن التَّوبة إلّا أن يشاء الله.

فهذه الآية المباركة تحث على التَّوبة وتوسّع نطاقها وتجعل الإنسان قريب المسافة منها، وذلك من خلال دائرتها الكبيرة ومساحتها الواسعة التي شملت العامة بالمعنى المتقدم، وبهذا سيكون الإنسان قد رجع إلى سكة الشَّريعة المقدسة بعد الانحراف عنها وقال قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(١)

---

(١) البقرة: ٢٢٢.

قال صاحب الأمثل [١] (ان كلمة الجهل المراد منها في الآية المبحوثة هنا هو طغيان الغرائز، وسيطرة الأهواء الجامحة وغلبتها على صوت العقل والايمان، وفي هذه الصورة وان لم يفقد المرء العلم بالمعصية، إلّا أنَّه عندما يقع تحت تأثير الغرائز الجامحة، ينتفي دور العلم ويفقد مفعوله واثره، وفقدان العلم لأثره مساو للجهل عملًا أمَّا إذا لم يكن الذنب عن جهل وغفلة، بل كان عن انكار لحكم الله سبحانه وعناد وعداء فإن ارتكاب مثل هذا الذنب ينبيء عن الكفر ولهذا لا تقبل التَّوبة منه إلّا أن يتخلى عن عناده وعدائه وانكاره وتمرده)

إذن بكل ما تقدم عرفنا كيف يكون الإنسان قريبًا من السَّاحة الإلهيَّة إذا أرتكب ذنبًا؟ وذلك من خلال التَّوبة الّتي رسمها الله سبحانه وتعالى للمذنبين وحدّد شروطها من ضمنها أن يكون ارتكاب السّوء بجهالة التي كانت دائرته وسيعة ومنعها من المعاند المنكر لحكم الله تعالى الذي يكون انكاره عن عناد وعداء، ويطلق على مثل هكذا شخص كافر، وإذا كان كذلك حتَّى ولو تحققت منه التَّوبة، فإنها لا تقبل لأنَّه لم يرتكب الذّنب عن جهالة والآية الكريمة تقول: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّه لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللَّه عَلَيْهِمْ وكانَ اللَّه عَلِيماً

(١) الشَّيخ ناصر مكارم الشَّيرازي: ٣/ ١٥٥.

حَكِيماً﴾[١]

هذا من جهة ومن جهة أخرى فأنَّه ارتكب الذَّنب عن كفر وإلحاد وانكار وعناد، ثمَّ انظر أيّها القارئ الكريم إلى مساحة التَّوبة الواسعة التي رسمها المولى عَزَّ وجَلَّ لعباده؛ لتكون رحمة منه لأنقاذ البشر من درائن الذّنوب وأوساخ الخطايا وتهديهم إلى الطّريق المستقيم، وتنجيهم من نار أحاطت بهم سرادقها ولهذا المعنى أشار أمير المؤمنين (عليه السَّلام) قال: «**إنَّه قيل له فإن عاد وتاب مرارًا قال يغفر الله له قيل الى متى قال حتى يكون الشيطان هو المحسور**[٢]»[٣]

وكذلك اشار الى هذا المعنى الإمام زين العابدين (عليه السَّلام) في دعائه الطّويل في سحر شهر رمضان فقال (عليه السَّلام): «...**إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا لربوبيتك جاحد، ولا بأمرك مستخف، ولا لعقوبتك متعرض، ولا بوعيدك متهاون، ولكن خطيئة عرضت وسولت لي نفسي وغلبني هواي وأعانني عليها شقوتي وغرَّني سترك المرض علي....**»

---

(١) النّساء: ١٧.

(٢) المراد بالمحسور في الرواية: ذو الكلالة والاعياء والملامة والتّعب أي لانهاية لقبول التّوبة إلّا أن يكل الشيطان.؟ فلا يخدعه فلا يعصي الله حتّى يحتاج إلى توبة جديدة.

(٣) الفيض الكاشاني، تفسير الصَّافي: ١ / ٤٣١.

٢- **قال الله تعالى** ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[(١)]

عن أبي عمر الزّبيدي، عن أبي عبد الله (عليه السَّلام) قال: «**رحم الله عبدًا تاب إلى الله قبل الموت، فأنَّ التَّوبة مطهرة من دنس الخطيئة، ومنقذة من شفا الهلكة فرض الله بها على نفسه لعباده الصالحين فقال: كتب ربكم....**»[(٢)]

وقال في مجمع البيان:[(٣)] (فقيل نزلت: في الذين نهى الله عَزَّ وجَلَّ نبيَّه عن طردهم وكان النَّبي إذا رآهم بدأهم بالسَّلام وقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسَّلام وقيل: أنَّ جماعة أتوا رسول الله صلّى الله عليه وأله، فقالوا أصبنا ذنوبًا كثيرة، فسكت عنهم رسول الله صلّى الله عليه وأله فنزلت الآية)

لأهمية التَّوبة نرى الإمام (عليه السَّلام) يترحم على من يتوب، ويدعو الله له بذلك وكيف لا تكون مهمة؟ وهي الّتي تخلص الإنسان من عقاب دائم ونار سرمدية، إضافة إلى أنَّها تطهر المذنب في دنس الخطيئة وروثها

---

(١) الأنعام: ٥٤،

(٢) محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي: ١ / ٣٦١.

(٣) الشَّيخ الطّبرسي: ٤ / ٦٥.

وتجعله طاهرًا، فينظم إلى زمرة المتطهرين الذين ينالون وسام المحبة من الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(١) وكذلك التَّوبة تنقذ المذنب من هلاك حقيقي ينتظره، وإذا بالنَّفحات الإلهيَّة تهب عليه، فتنشله ممَّا هو فيه، فترجعه إلى سكة الشَّريعة الإلهيَّة بعد انحرافه عنها.

قال في الميزان: (٢) (يأمر الله سبحانه فيها نبيه صلىّ الله عليه وأله بعدما نهاه عن طرد المؤمنين عن نفسه ان يتلطف بهم ويسلم عليهم ويبشر من تاب منهم عن سيئة توبة نصوصًا بمغفرة الله ورحمته فتطيب بذلك نفوسهم ويسكن طيش قلوبهم ويتبين بذلك:

أولًا: إنَّ الآية من آيات التَّوبة انما تتعرض للتوبة عن المعاصي والسَّيئات دون الكفر والشرك بدليل قوله (ومن عمل منكم) أي المؤمنين بآيات الله.

ثانيًا: إنَّ المراد بالجهالة ما يقابل الجحود والعناد.

ثالثًا: أن تقيد قوله (تاب) بقوله (أصلح) للدلالة على تحقق التوبة بحقيقتها.

رابعًا: إنَّ الله كتب على نفسه الرَّحمة لكنَّها لاتظهر ولا تؤثر أثرها إلّا إذا

---

(١) البقرة: ٢٢٢.

(٢) للسيّد الطّباطبائي: ٧/ ١٠٥.

عمل بعض عباده سوء بجهالة، ثمَّ تاب من بعده واصلح قال في الأمثل: [١] (تأمر الآية رسول الله صلىّ الله عليه وأله أن لا يطرد أي شخص مؤمن مهما تكن طبقته وظروفه وعنصره بل عليه أن ينظر إلى الجميع بعين المساواة وأن يحتضنهم ويعمل على اصلاحهم حتَّى وان كانوا ملوثين بالذّنوب)

ومن هنا نتعلم كيف نتعامل مع المذنبين؟ بل مع أنفسنا إن كنَّا مذنبين هل نتركها؟ كلا ثمَّ كلا علينا أن نبذل قصارى جهدنا؛ لنكون في حضيرة التَّائبين نحاول أن نجذب المذنبين ونضمهم إلى هذه الحضيرة المباركة التي دعانا الله إليها وأمر رسوله صلّى الله عليه وأله باحتضان اصحابها والعمل على اصلاحهم من خلال التَّوبة على مامضى والقضاء فيما آت، والعمل فيما يكون والاصرار على ذلك، والسَّير على الخط المستقيم، ونستفاد من النَّكسة التي نمرّ بها ونجعلها أمام أعيننا كحاجب يمنعنا من تكرار ارتكاب الذّنوب والآثام ولا نكون من الزّمرة الجاحدة لأحكام ربّها المتمردة على نعمته، فلا تشملنا النَّفحات الرَّبانيَّة والتَّوبة الإلهيَّة الّتي لا تجتمع مع براثن المعاصي وقبائح الذّنوب الّتي ترتكب من العاصي الكافر، فنكون من الخاسرين.

٣- قال تعالى ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ

---

(١) للشيخ ناصر مكارم الشّيرازي: ٤ / ٣٠٧.

اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]

قال في مجمع البيان:[٢] (فمن تاب من بعد ظلمه) أي: أقلع وندم على ماكان منه من فعل الظّلم بالسَّرقة (واصلح) أي: وفعل الفعل الصَّالح الجميل (فإن الله يتوب عليه) أي: يقبل توبته بإسقاط العقاب بها عن المعصية التي تاب منها، ووصف الله بأنَّه يتوب على التَّائب فيه فائدة عظيمة، وهي أنَّ في ذلك ترغيبًا للعاصي في فعل التَّوبة، ولذلك وصف نفسه تعالى بالتَّواب الرَّحيم)

وقال في الميزان:[٣] (فمن تاب من بعد ظلمه توبة ثمَّ أصلح ولم يحم حول السَّرقة وهذا أمر يستثبت به معنى التَّوبة فأنَّ الله يتوب عليه ويرجع إليه بالمغفرة والرَّحمة لأنَّ الله غفور رحيم)

وفي الدّر المنثور[٤] أخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمر: إنَّ امرأة سرقت على عهد رسول الله صلّى الله عليه وأله، فقطعت يدها اليمنى فقالت: هل لي من توبة يارسول الله؟ قال: نعم أنت اليوم من

(١) المائدة: ٣٩.

(٢) للشيخ الطبرسي ج٣ ص٣٣٢

(٣) للسيد الطّباطبائي: ٥ / ٣٣٠.

(٤) جلال الدّين السّيوطي، الدّر المنثور في التّفسير بالمأثور: ٢ / ٢٨١.

خطيئتك كيوم ولدتك أمَّك فنزل الله في سورة المائدة: (فمن تاب من بعد ظلمه....)

فإن الله سبحانه وتعالى يتوب على من تاب ورجع عن طريق الغيّ إلى طريق العدل والاصلاح التي رسمته الشّريعة المقدسة ووضع مساره المنحرف على الجادة الأصلية والسّكة المحمديَّة المستقيمة، فباب التَّوبة واسع والله هو الغفور الرَّحيم، فبقى حبل القارب بيد المكلف فما عليه إلّا أن يحرك نفسه قليلًا ويقدح عقله وفكرة بمقدحة التَّوبة وإذا به يرى نفسه عائدًا إلى الطّريق الصَّواب مبتعدًا عن طريق الذّنوب والآثام، وهذا لا يحتاج الى مزيد عناء وتعب.

لأنَّه طريق الفطرة فطرة الله الّتي فطر الناس عليها، فتجمعت عدة عوامل من هوى وشهوة وشيطان وغير ذلك جعلته ينحرف عن هذا المسار الفطري الإلهي، بالتَّالي الكرة بيد المكلف فهو الذي يستطيع أن يحركها ويدخلها في هدف التَّوبة الواسع، فيفوز في الدارين.

قال في الأمثل:[(١)] (فمن تاب من بعد ظلمه....) فهي تفتح لمن أرتكب هذه المعصية (السرقة) باب العودة والتّوبة.

---

(١) الشَيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٣/ ٧٠٥-٧٠٦.

سؤال: هل التّوبة وحدها تكفي لغفران الذنب فقط أم أنَّها تسقط عنه حد أو عقوبة السرقة أيضًا؟

فأجاب: أن المعروف لدى فقهاء الشّيعة أن مرتكب السَّرقة إن تاب قبل أن تثبت سرقته في محكمة إسلاميَّة يسقط عنه حد السَّرقة أيضًا، أمَّا إذا شهد عادلان على سرقته، فأنَّ التَّوبة لا تسقط عنه حد وبعبارة أخرى: إنَّ التَّوبة الاختيارية هي تلك التي تتم قبل أن يثبت الجرم في المحكمة، بينما التَّوبة الاضطرارية هي التَّوبة التي تصدر من الإنسان العاصي لدى مشاهدته العذاب الإلهي، أو لدى بلوغه حالة الاحتضار، ومثل هذه التوبة لا قيمه لها مطلقًا.

فالآية الكريمة فتحت باب التَّوبة على مصراعيه؛ لتكون فرص الدَّخول فيه أكثر وجعلته واسعًا ليدخل أكثر عدد ممكن في هذا الباب ذي الرَّحمة الإلهيَّة.

إذن التَّوبة باب الرَّحمة الإلهيَّة الذي فتحه لعباده، ليخرجهم من الظّلمات إلى النّور، ظلمات الآثام والفواحش وظلمات المشاكل والآلام إلى نور الهداية والرَّاحة والرَّيحان وجنات تجري من تحتها الأنهار.

وتوجد آيات أخرى تتكلّم عن التَّوبة كما سيأتي بعضها من خلال

البحث لكننا نكتفي بهذه الآيات الثلاث في هذه الفقرة.

التَّوبة في السّنة الشَّريفة

١- عن أبي موسى قال: قال: رسول الله (صلّى الله عليه وأله) «يدا الله بسطان لمسيء الليل ان يتوب بالنهار ولمسيء النهار ان يتوب بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[١]

يرشد هذا الحديث إلى أنَّ المذنب عندما يذنب باللّيل تبقى أبواب التَّوبة مفتوحة إلى النَّهار وكذلك تبقى أبواب التَّوبة مفتوحة في اللّيل إلى من أرتكب الذَّنب نهارًا، وهذا يدل على سعة الرَّحمة الإلهيَّة وتوسعته تعالى على عباده حتَّى يتمكنوا من دخول هذا الباب الإلهي، لأنَّ أكثر الذّنوب التي ترتكب لغفلة أو شهوة أو غير ذلك وسرعان ما يرجع الإنسان بزوال أسبابها، فيندم على ذلك وتصيبه الحسرة، وإذا به يجد باب التَّوبة مفتوحًا فيدخل به، وهذا عامل مساعد في الدّخول في التَّوبة إضافة إلى العوامل الأخرى الّتي وضعها الباري عَزَّ وجَلَّ ليسهل على العباد الرّجوع إلى خط الفطرة والاستقامة على تعاليم الشَّريعة الإسلاميَّة السَّمحاء بعد ارتكاب الذّنوب ولم يترك الله البشر متحيرين يائسين تدور بهم الدّوائر، وتتصرف

(١) ابن أبي عاصم الشيبان، السّنة: ١ / ٩٨.

بهم الأيام واللّيالي، إضافة إلى ذلك أنَّ هذا الأمر (التَّوبة) لم يكن موقتًا أي محدود بفترة زمنية محددة، بل جعل بابه مفتوحًا حتَّى قيام السَّاعة المعبر عنها في الحديث (حتَّى مطلع الشَّمس من مغربها)

وهذه المدة الطويلة عامل مساعد آخر للدخول في هذا الباب المبارك لكن المطلوب من المذنب أن يتحرك نحو السَّاحة الإلهيَّة ليتقرب منها، وذلك بالتَّوبة والعمل الصَّالح التي يعقبها.

٢- عن يحيى بن بشير عن المسعودي قال: قال أمير المؤمنين عليه السَّلام: «من تاب تاب الله عليه وأمرت جوارحه أن تستر عليه، وبقاع الأرض أن تكتم عليه، وأنسيت الحفظة ما كانت تكتب عليه»[(١)]

مسكين بني آدم كيف يرتكب الذنوب؟ وهو مراقب بمجموعة من الأجهزة التي تسرد عليه أعماله ولا تترك صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصتها ﴿مَن ْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن ْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[(٢)] لو نظر الإنسان بما هو فيه وما يحيط به وما هو هدف مجيئه الى الدنيا وسار على النَّهج القويم وشريعة نبي ربّ العالمين، لما أرتكب ذنبًا، لكنَّه خلق هلوعًا وحبّه للخير لشديد، وبني آدم خطّاوون فهم غير معصومين إلّا الأنبياء

---

(١) الشَّيخ الصَّدوق، ثواب الأعمال: ١٧٩.

(٢) الزلزلة: ٧و٨.

والأئمة (عليهم السَّلام) لذا فتح باب التَّوبة ليكون خط رجعة للمذنبين، وبالرَّغم من الأجهزة المتعددة لمراقبة الإنسان، فإن المذنب إذا تاب توقفت هذه الأجهزة عن حفظ الصّور والشَّهادة والنّطق بايعاز من لدن رب كريم غفور رحيم، فيؤمر جواحه أن تستر عليه، ولا يؤذن لها بادلاء شهادتها بالذنب الذي أرتكبه صاحبها، وكذلك الأرض الّتي فُعلت الفاحشة عليها تتوقف عن العمل ولا تشهد بذلك، ومثل ذلك الكتبة الحافظون لأقوال وافعال البشر يأتي لها الايعاز بالتّوقف عمَّا أمرت به وهذا كلّه بفضل التَّوبة.

إذن هذا عامل مساعد آخر على التَّوبة والحث في الدّخول في بابها، بل على الإنسان العاقل أن يقتنص هذه الفرصة وكل فرصة تتهيأ للدخول في هذا الباب المبارك ولا تفوته، فيقع محسورًا مندمًا عاجلاً ام آجلاً.

٣- قال الإمام الصَّادق (عليه السَّلام): «إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ أعطى التَّائبين ثلاث خصال أو أعطى خصلة منها جميع أهل السَّماوات والأرض لنجوا بها قوله تعالى (ان الله يحب التوابين.....)[1] وقوله: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ

(١) البقرة: ٢٢٢.

وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»[١]

وقوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق..... الا من تاب وآمن.... وكان الله غفورا رحيما[٢]﴾[٣]

يُبيّن الإمام (عليه السَّلام) الخصال التي أعطت للتائب وهي من العوامل المساعدة للدخول في التَّوبة وميزته عن غيره بحيث حثه في الدخول بهذه الزّمرة المباركة فقال الإمام (عليه السَّلام) لو كان أهل السَّماوات والأرض يملكون خصلة واحدة من هذه الخصال الثّلاث لنجو مما هم فيه من الهلكة، فكيف بالتَّوابين وهم يملكون الخصال الثّلاث؟ فالإمام (عليه السَّلام) أول خصلة ذكرها هي المحبة واستشهد عليها بالآية الكريمة (ان الله يحب التّوابين....) فإن هذه المحبة من الله تعالى إلى كل من تطهر وتاب في أي نوع من أنواع التَّطهر والتَّوبة، فيقول صاحب الميزان:[٤] (إنَّ الله يحب جميع أنواع التَّوبة سواء كانت بالاستغفار أو بامتثال كلّ أمر ونهي من تكاليفه أو باتخاذ كلّ اعتقاد من الاعتقادات الحقة، ويحب جميع أنواع التَّطهر سواء كان بالاغتسال والوضوء والغسل أو التطهر بالأعمال الصَّالحة أو العلوم

(١) المؤمن: ٧-٩.

(٢) الفرقان: ٦٨-٧٠.

(٣) الشَّيخ الكليني، الكافي: ٢ / ٤٣٢-٤٣٣، الحويزي، تفسير نور الثّقلين: ٤ / ٥١١.

(٤) السّيد الطّباطبائي: ٢ / ٢١٢.

الحقة، ويجب تكرار التَّوبة وتكرار التَّطهر) والخصلة الثّانية الّتي ذكرها الإمام (عليه السلام) في الآيات الثّلاث من سورة المؤمن، فالملائكة يدعون بالمغفرة للتائبين الذين سلكوا سبيل الحق وأي وسام يحصل عليه التائب؟

وهو في هذا الحال وإذا بحملة العرش يسألون الله تعالى بالمغفرة له وأن يكون في وقاية وحجاب من نار جهنم قال صاحب الميزان:(١) في تفسير (فاغفر للذين تابوا....) قال: (والمعنى فاغفر للذين رجعوا إليك بالإيمان بوحدانيتك وسلوك سبيلك الذي هو الإسلام وفهم عذاب الجحيم وهو غاية المغفرة وغرضها)

وأيضًا دعو لهم بادخال جنّات عدن التي وعدهم الله بها، والله لا يخلف الميعاد وكذلك سأل الملائكة الله سبحانه وتعالى أن يقيهم السَّيئات قال في الميزان: (٢) (والظّاهر أنَّ الآية من الآيات الدَّالة عن أنَّ الجزاء بنفس الأعمال خيرها وشرها..... فالمراد بالسَّيئات التي سألوا وقايتهم عنها هي الأهوال والشَّدائد الّتي تواجههم يوم القيامة غير عذاب الجحيم فلا تكرار في قولهم (وقهم عذاب الجحيم) (وقهم السَّيئات) وهذه الخصلة تدعو بها حملة العرش إلى التَّائب بعدة دعوات بالمغفرة ودخول جنات عدن وأن

---

(١) السّيد الطّباطبائي: ١٧ / ٣٠٩.

(٢) للسيد الطّباطبائي: ١٧ / ٣١٠.

يقيهم السَّيئات. فهنيئًا لمن دخل هذا الباب وصار من زمرة التَّوابين.

أمَّا الخصلة الثَّالثة الَّتي بيّنها الإمام (عليه السَّلام) تبديل السَّيئات حسنات واستشهد بقوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1]

قال في الميزان: [2] إلاّ من تاب وآمن.....(استثناء من لقى الآثام والخلود فيه، وقد أخذ في المستثنى التَّوبة والإيمان واتيان العمل الصَّالح، أما التَّوبة وهي الرّجوع عن المعصية وأقل مراتبها النَّدم.

فلو لم يتحقق لم ينتزع العبد عن المعصية ولم يزل مقيمًا عليها، وأمَّا اتيان العمل الصَّالح فهو ما تستقر به التَّوبة وبه تكون نصوحًا.... وقوله (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) تفريع على التَّوبة والإيمان والعمل الصَّالح يصف ما يترتب على ذلك من جميل الأثر وهو أنَّ الله يبدل سيئاتهم حسنات)

نستكفي بهذه الرَّوايات الثّلاث وتوجد روايات أخرى تذكر التّوبة نذكر بعضها أثناء البحث إن شاء الله تعالى.

---

(١) الفرقان: ٧٠.

(٢) للّسيد الطّباطبائي: ١٥ / ٢٤٢.

ما حكم التّوبة ؟

التّوبة واجبة ويمكن أن نستدل على وجوبها بالنّقل والعقل والإجماع.

أمّا النّقل فبالآيات من الكتاب الكريم: قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١]

ففي الحديث عن النَّبي صلّى الله عليه وأله قال: «**أيّها النّاس توبوا إلى ربّكم، فأنّي أتوب إلى الله في كلّ يوم مائة مرة**»[٢]

قال في الميزان في هذه الآية (المراد بالتَّوبة على ما يعطيه السَّياق الرّجوع إليه تعالى بامتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه وبالجملة اتباع سبيله.)[٣]

إذا نظرنا إلى الآية الكريمة نجدها تحتوي على فعل الأمر (توبوا) وفعل الأمر ظاهر في الوجوب ومنه نستفاد أنَّ التَّوبة واجبة.

يقول في الأمثل: (وانتهت الآية بدعوة جميع المؤمنين رجالًا ونساء إلى التَّوبة والعودة إلى الله؛ ليفلحوا وتوبوا إلى الله جميعًا أيّها المؤمنون لعلكم تفلحون وتوبوا أيّها النَّاس ممّا ارتكبتم من ذنوب في هذا المجال، بعدما

---

(١) النور: ٣١.

(٢) الشَّيخ الطّبرسي، تفسير مجمع البيان: ٧ / ٢٤٣.

(٣) السّيد الطّباطبائي، تفسير الميزان: ١٥ / ١١٢.

أطلعتم على حقائق الأحكام الإسلاميَّة، وعودوا الى الله لتفلحوا فلا نجاة لكم من كلّ الانحرافات الخطرة إلّا بلطف من الله ورحمته، فسلموا أمركم إليه)[١]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...﴾[٢]

قال في مجمع البيان:[٣] (يا أيهّا الذين امنوا توبوا الى الله) من معاصيه وارجعوا الى طاعته (توبة نصوحا) أي خالصة لوجه الله وروى عكرمة عن ابن عباس قال: قال معاذ بن جبل: يارسول الله، ما التَّوبة النَّصوح؟ قال (أن يتوب التّائب، ثمَّ لا يرجع في ذنب كما لا يعود اللّبن إلى الضَّرع) وقال ابن مسعود: التَّوبة النَّصوح هي التي تكفر كلَّ سيئة قال في تفسير القمي:[٤] (قال الحسين وحدثني محمد بن الفضيل عن أبي الحسن (عليه السَّلام) في قوله (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) قال (عليه السَّلام): يتوب العبد ثمَّ لا يرجع فيه وأنَّ أحبَّ عباد الله إلى الله المتقي التَّائب)

---

(١) الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازي: ١١ / ٧٩.

(٢) التّحريم: ٨.

(٣) الشّيخ الطّبرسي: ١٠ / ٦٢.

(٤) علي بن ابرهيم القمي: ٢ / ٣٧٧.

قال في الأمثل: [١] (أنَّ أول خطوة على طريق النَّجاة هي التَّوبة والاقلاع عن الذَّنب، التَّوبة التي يكون هدفها رضا الله والخوف منه. التَّوبة الخالصة من أي هدف آخر كالخوف من الآثار الاجتماعية والآثار الدّنيوية للذنوب وأخيرًا التَّوبة التي يفارق بها الانسان الذَّنب ويتركه إلى الأبد..... يمكننا تلخيص أركان التَّوبة بخمسة أمور (ترك الذّنب، النَّدم، التَّصميم على الاجتناب في المستقبل، جبران ما مضى، الاستغفار)

في هاتين الآيتين الكريمتين وقول النَّبيّ صلّى الله عليه وأله كفاية في الاستدلال على وجوب التَّوبة لما فيها المصلحة والفائدة التي تخرج العباد من الظّلمات إلى النور ومن الضَّلال إلى الهدى، لكنَّها تحتاج إلى نيَّة صادقة وعمل دؤوب ومخالفة للهوى والنفس الأمارة بالسّوء وارادة فولاذية؛ لكي يعمل بأركانها، ثمَّ الرّجوع إلى الخط المستقيم وجادة الشَّريعة المحمديَّة المقدسة.

ثمَّ بعد التَّوبة أزيل أدران الذَّنوب وأوساخ الآثام المتراكمة طيلة فترة العصيان الّتي كانت طبقة مانعة لاستجابة الفطرة، وهذه الإزالة جاءت نتيجة التوبة والعمل الصَّالح وعمل الحسنات اللاتي يذهن السَّيئات، والاستقامة الدَّائمة والمستمرة التي تقرب إلى السَّاحة الإلهيَّة، وكلّما كان

---

(١) الشّيخ الشّيرازي: ١٨ / ٤٥٧.

الإنسان قريبًا كان بعيدًا عن الضَّلال والهوى والشَّيطان.

الاستدلال بالعقل على وجوب التَّوبة

بما أنَّ التَّوبة فيها مصلحة وفائدة للعباد كما مر، وبهذا المنظور لايختلف اثنان حيث أنَّ العقل لا يمنع من ذلك، بل يكون مؤيدًا وحاثًا وموجبًا على اتباعها بحيثية أنَّها تنقذه من نار أبدية وعذاب دائم إلى جنَّة تجري من تحتها الأنهار يعني تخرجه من الأذى والألم والحزن إلى الرَّاحة والسَّعادة الأبدية، وهذا هو بنفسه تتفق العقول على إيجابيه، والوجوب على العمل بموجبه، والفائدة تعود إلى الإنسان نفسه والى المجتمع باعتباره أحد أفراده إذا صلح، فيصلح المجتمع، وإذا فسد، فيفسد المجتمع

قال السَّيد محمد مهدي النَّراقي: [(١)] (العقل فهو من علم معنى الوجوب ومعنى التّوبة فلا يشك في ثبوته لها (بيان ذلك): إنَّ معنى الواجب وحقيقته هو ما يتوقف عليه الوصول إلى سعادة الأبد والنَّجاة من هلاك السَّرمد، ولولا تعلق السَّعادة والشَّقاوة بفعل الشَّيء وتركه لم يكن معنى لوجوبه، فالواجب ما هو وسيلة وذريعة إلى سعادة الأبد....) وقال

(١) جامع السَّعادات: ٣/ ٥٥.

العلّامة الحلي:[١] (والتَّوبة واجبة لدفعها الضرّر ولوجوب النَّدم على كلّ قبيح أو اخلال واجب)

قال صاحب كتاب خلفيات كتاب مأساة الزهراء (عليها السَّلام)[٢] (فإن وجوب التَّوبة أمر عقلي، ثابت في الشَّرع والعقل يدرك حسنها كما هو معلوم لدى العلماء)

الاستدلال بالإجماع على وجوب التَّوبة

قال السّيد محمد مهدي النَّراقي: [٣] (التَّوبة عن الذّنوب باسرها واجبة: بالإجماع والنّقل والعقل)

وقال العلّامة الحلي[٤] (التوبة واجبة بالإجماع) وقال في المستطرف [٥] (وقد تظافرت دلائل الكتاب والسّنة واجماع الأمة على وجوب التَّوبة)

---

(١) شرح التّجريد: ٢ / ٥٦٦.

(٢) السّيد جعفر مرتضى: ٢ / ٢٧.

(٣) جامع السَّعادات: ٣ / ٥٤.

(٤) شرح التّجريد: ٢ / ٥٦٦.

(٥) الابشيهي: ٢ / ٥٥٥.

وقال في عمدة القارئ[١] (وأجمع الأئمة على وجوب التَّوبة)

عمومية التَّوبة

بعد أن عرفنا أنَّ التَّوبة واجبة من خلال الاستدلال المتقدم، الآن نريد أن نعرف أنَّ التَّوبة لها صفة العموميَّة بمعنى تعم جميع الأحوال وتشمل كلّ الاشخاص قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]

هذه الآية المباركة تدل على عموميَّة التَّوبة، لأنَّها تحتوي على لفظ يدل على العموم الشَّامل للجميع يحث ويشجع الآخرين على الدّخول في التَّوبة وعامل مساعد على ذلك، وكلّما تقدمنا في البحث، نرى أنَّ دائرة التَّوبة تتسع وتزداد العوامل المساعدة على الدخول فيها، وبذلك تكون احتمالات نيل وسامها أكثر، عن علي بن رئاب عن الإمام الصَّادق (عليه السَّلام)، فقال: «**إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وأله كان يتوب إلى الله ويستغفره في كلّ يوم وليلة مأة مرة وفي حديث آخر سبعين مرة من غير ذنب**»[٣]

(١) محمود بن أحمد العيني: ١٩ / ٩٦.

(٢) النور: ٣١.

(٣) الشَّيخ الكليني، الكافي: ٢ / ٤٤٩.

وعن سعيد عن قتادة عن كعب قال: قال موسى (عليه السَّلام) حين ناجاه ربّه تعالى قال: «**إلهي فما لمن تاب من ذنب يأتيه متعمدًا قال: يا موسى، هو كمن لا ذنب له قال: إلهي فما لمن تاب من ذنب يأتيه خطأ قال: يا موسى، هو عندي كبعض ملائكتي ومقامه مقامهم ومصيره مصيرهم، قال: موسى وممَّ ذاك يا رب، قال: إنَّه استغفرني من غير ذنب وملائكتي يستغفروني من غير ذنب....**»[١]

من هنا نعرف أنَّ التَّوبة تشمل الذَّنب الّذي يرتكبه الإنسان سواء كان خطأ أو عمدًا أو كان ساهيًا أو غفلة أو غير ذلك من الأحوال والأوضاع وكذلك نعرف أنَّ الملائكة الّتي هي تسير بروحانيَّة تامة دون شهوة، تستغفر الله سبحانه وتعالى فكيف بالانسان الذي تتصارع معه شهوات متعددة؟ ومن هنا يتضح لنا أنَّ استغفار النَّبي صلّى الله عليه وأله لا يكن بالضّرورة لذنب أذنبه حاشاه وهو المعصوم والممدوح عند ربّ العالمين، بل استغفاره لرفع درجته صلّى الله عليه وأله أو تطلق كلمة الذَّنب حسب قرب الشَّخص وبعده عن الله سبحانه وتعالى، فالأنبياء والأولياء لقربهم من الله تعالى فتركهم للأولى يعد معصية وذنبًا كما في أبينا آدم عليه السَّلام وكذلك سكوتهم لبعض الوقت وعدم ذكرهم لله عَزّ وجَلّ يعد ذنبًا

---

(١) الاصبهاني، حلية الأولياء: ٦ / ٣٦.

ومعصية وهكذا.

ولذا تكون التَّوبة عامة فتشمل جميع الأحوال والأشخاص والأوقات، فالتّوبة مفتوحة للإنسان منذ نضوج الشَّهوات عنده وتعاركها مع جنود العقل إلى انتزاع الروح، في جميع هذا الوقت التوبة مسموحة له وأبوابها مفتوحة، فما عليه الا ان يختارها ويطرق بابها وهو مخير في ذلك والأمر متروك إليه. روي عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي (عليهم السَّلام) قال: «**إنَّ يهوديًا من يهود الشَّام واحبارهم قال لعلي عليه السَّلام، فأنَّ آدم عليه السَّلام تاب الله عليه من خطيئة؟ قال له علي عليه السَّلام لقد كان كذلك ومحمد صلّى الله عليه وأله نزل فيه ماهو أكبر من هذا من غير ذنب أتى قال الله عَزَّ وجَلَّ: (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) أنَّ محمدًا غير مواف يوم القيامة بوزر ولا مطلوب فيها بذنب، وقال عليه السَّلام: ولقد كان صلّى الله عليه وأله يبكي حتَّى يغشى عليه، فقيل له يارسول الله أليس الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: بلى أفلا أكون عبدًا شكورًا؟...**»[(١)]

أقول وهكذا كان يبكي يحيى بن زكريا من غير ذنب وهذا ديدن الأولياء والصَّالحين من عباد الله تعالى تقربوا من الله فعرفوه، فكانت قلوبهم تخشع

(١) الشَّيخ الطّبرسي، الاحتجاج: ٤٩٧، الحويزي، تفسير نور الثقلين: ٥ / ٥٥.

منه تعالى ودموعهم تسيل لوجلهم وخوفهم، فكانت عيون الأنبياء تذرف دموعًا لا لذنب فأنَّهم معصومون مطهرون لا يرتكبون ذنبًا صغيرًا أو كبيرًا، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السَّلام قال: «**إنَّ أيوب عليه السَّلام أبتلى من غير ذنب، وأنَّ الأنبياء لا يذنبون لأنَّهم معصومون مطهرون، لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنبًا، صغيرًا ولا كبيرًا**»(١) ولنأخذ نموذجين من التَّوبة: النموذج الأول توبة آدم عليه السَّلام، والنَّموذج الثّاني توبة بني اسرائيل.

النموذج الأول: توبة آدم عليه السَّلام.

قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(٢) عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: «**إنَّ آدم عليه السَّلام بقي على الصَّفا أربعين صباحًا ساجدًا يبكي على الجنَّة وعلى خروجه من الجنَّة من جوار الله عَزَّ وجَلَّ فنزل عليه جبرائيل عليه السَّلام، فقال: يا آدم، مالك تبكي فقال: يا جبرائيل، مالي لا أبكي وقد أخرجني الله من الجنَّة من جواره وأهبطني إلى الدّنيا فقال: يا آدم، تب إليه قال: وكيف**

(١) الشَّيخ الصَّدوق، الخصال:٣٩٩.

(٢) نفس المصدر.

أتوب؟ فأنزل الله عليه قبة من نور فيه موضع البيت، فسطع نورها في جبال مكة، فهو الحرم، فأمر الله جبرائيل أن يضع عليه الأعلام قال: قم يا آدم، فخرج به يوم التَّروية وأمره أن يغتسل ويحرم وأخرج من الجنَّة أول يوم من ذي القعدة، فلما كان يوم الثّامن من الحجة أخرجه جبرائيل عليه السَّلام إلى منى فبات بها، فلما أصبح أخرجه إلى عرفات..... وهكذا حتَّى تمَّ حجه فقال له جبرائيل: إنَّ الله قد قبل توبتك وحلت لك زوجك قال: فلما قضى آدم حجه لقبته الملائكة بالأبطح فقالوا: يا آدم، بر حجّك أمَّا إنَّا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفي عام»(١)

أقول: إنَّ أبانا آدم عليه السَّلام قام بأعمال معينة علّمه جبرائيل إياها، فتاب الله عليه، فعلى المذنب أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى ويندم على فعله ويتركه والإصرار على العمل الصَّالح وفعل الحسنات والاستغفار، وهذا هو الاسلوب العملي للتوبة حتَّى يجد الله توابًا رحيمًا أما مجرد لقلقة لسان وبدون عمل بالاركان ففي مثل هذه التوبة لاتنفع صاحبها بل لا تسمى توبة، فالمهم في التوبة النّية الخالصة لله تعالى والعمل بموجبها كما فعل أبونا آدم عليه السَّلام، فهو لنا نموذج حي وقدوة حسنة نقتدي بتوبته ونسير على خطاها ليغفر الله لنا كما غفر له قال كميل بن زياد سألت امير المؤمنين عليه

---

(١) علي بن ابراهيم القمي، تفسير القمي: ١ / ٤٤.

السلام قلت: يا أمير المؤمنين، العبد يصيب الذَّنب فيستغفر الله منه فما الاستغفار؟ قال: يا بن زياد، التَّوبة، قلت: بس؟ قال: لا قلت: فكيف؟ قال: إنَّ العبد إذا أصاب ذنبًا يقول استغفر بالتَّحريك قلت وما التَّحريك؟ قال: الشَّفتان واللّسان يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة؟ قلت: وما الحقيقة؟ قال: تصديق في القلب واضمار أن لا يعود إلى الذَّنب الذي استغفر منه، قال كميل إذا فعلت ذلك فأنا من المستغفرين ؟ قال: لا قال كميل: فكيف ذاك؟ قال لأنَّك لم تبلغ إلى الأصل بعد......)[١]

إذن التّوبة العمل الصَّالح، فخلال فترة المعصية تكونت طبقة على القلب، قال الله تعالى ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢] عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السَّلام) قال: [قال:] «**ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنبا خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا**

---

(١) بحار الأنوار: ٦٥ / ٣٨١.

(٢) المطففين: ١٤، والرين: الطبع وتحقيق الكلام في هذا المقام هو أن من عمل عملا صالحا اثر في نفسه ضياء وبازدياد العمل يزداد الضياء والصفاء حتى تصير كمرآة مجلوة صافية ومن أذنب ذنبا أثر ذلك أيضا وأورث لها كدورة فان تحقق عنده قبحه وتاب عنه زال الأثر وصارت النفس مصقولة صافية وان أصر عليه زاد الأثر الميشوم وفشا في النفس وقعد عن الاعتراف بالتقصير والرجوع إلى الله بالتوبة والاستغفار والانقلاع من المعاصي(الشيخ الكليني، الكافي: ٢ / هامش ٢٧٣)

[ت] غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبدا وهو قول الله عز وجل: كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون»[١] ويمكن ازالة الطبقة الّتي تكونت على القلب من خلال التَّوبة وعمل الحسنات فإن الحسنات يذهبن السيئات وبرجوع الإنسان إلى سكة الصَّواب وعمله الصَّالح تزال هذه الطّبقة الحاجبة، فترجع الفطرة إلى عملها الطّبيعي، فيكون الإنسان سويًا ملتزمًا مطبقًا لتعاليم الإسلام السَّمحاء وشريعة خاتم الأنبياء محمد صلّى الله عليه وأله، فالتَّوبة عملها مهم ومنقذ وهل يوجد شيء أهم من الانقاذ من الظّلمات ومن شفا حفرة من النَّار؟ وهل يوجد شيء أهم من السَّعادة الأبدية والفوز في الآخرة بجنات تجري من تحتها الأنهار؟

النَّموذج الثّاني: توبة بني اسرائيل.

قال الله تعالى ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٢] كانت التَّوبة في بني اسرائيل هي القتل، وكان هذا الحكم شديدًا وثقيلًا، فسألوا الله سبحانه

(١) الشيخ الكليني، الكافي: ٢ / ٢٧٣.

(٢) البقرة: ٥٤.

وتعالى، فخفف عليهم ذلك. قال في تأويل الآيات[١] معنى تأويله: (إنَّ قوم موسى عليه السَّلام لَمَّا عبدوا العجل وهو حوب كبير، فكان كفارته أن يقتل من عبده، فشق ذلك على بني اسرائيل أن يقتل الإنسان أباه وأخاه وولده، وقالوا لموسى عليه السَّلام ذلك فأوحى الله عَزَّ وجَلَّ إليه قل لهم: أنَّه من دعى الله بمحمد وأله الطّيبين أن يسهل ذلك عليه، فأنَّه يسهل فقالوها، فسهل عليهم القتل ولم يجدوا له ألما)

وقال في الوجيز:[٢] (واذ قال موسى لقومه الذي عبدوا العجل ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل الها فتوبوا الى بارئكم يعني خالقكم قالوا كيف نتوب قال فاقتلوا انفسكم اي ليقتل البرئ منكم المجرم ذلكم اي التوبة خير لكم عند بارئكم من اقامتكم على عبادة العجل ثمَّ فعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم قبل توبتكم أنَّه هو التَّواب الرَّحيم)

أقول أنَّ أحكام الأمة المرحومة أخف بكثير من أحكام اليهود والنَّصارى، وهذه مِنَّة من الله سبحانه وتعالى وعامل مساعد لهداية الأمة وسلوك طريق الصَّواب ودخول باب التَّوبة عند انحراف بعض أفرادها عن السّكة المحمديَّة الاصيلة بارتكابهم بعض الذّنوب والآثام، وهذا كلّه

(١) شرف الدّين الحسيني: ١ / ٤٨.

(٢) الواحدي، الوجيز تفسير الكتاب العزيز: ١ / ١٠٥.

تسهيل على العباد ورأفة بهم ورحمة من رب غفور رحيم.

فكفارة بني اسرائيل هي القتل جزاء بما قاموا به من عبادة العجل دون الله الواحد القهار، لكن بدعائهم مصحوبًا بالنَّدم والعزم على ترك المعاودة إلى الفعل القبيح الذي صدر منهم وبعد القيام باداء الواجب الذي فرضه الله تعالى وجبر ما يمكن جبره بقضاء أو دين او غير ذلك فغفر الله لهم، أما هذه الأمة المرحومة أمة محمد صلّى الله عليه وأله فقد خفف الله عنهم الشّدة التي كانت متبعة في بني اسرائيل، فتوبتهم الاستغفار وكفارتهم النَّدم على ماصدر والقيام بما وجب.

قال ابن مسعود وعطا وابن ابي رياح: كانت بني اسرائيل إذا أذنب الواحد منهم ذنبًا أصبح مكتوبًا على بابه كفارة ذنبك.... اجدع أنفك... اجدع اذنك[١] فسهل الله ذلك على هذه الأمة بأن جعل توبتها الاستغفار بدلًا من ذلك مِنَّة منه ورحمة)[٢]

---

(١) قرأ الشاعر طانيوس عبده ان شرائع اليونان يعاقب المرأة الخائنة بجذع انفها والرجل الخائن بقلع عينيه فكتب هذين البيتين:

فلو وصلت شرائعكم الينا *** على ما نحن فيه من مجون

لأصبحت النساء بلا انوف *** واصبحت الرجال بلا عيون

(٢) طاهر السّيد عبد الله ابو رغيف، التّوبة والعفو الإلهي: ٨٣-٨٤.

الدَّعوة إلى التَّوبة

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١] دعوة من الله سبحانه وتعالى إلى الّذين تابوا بأنّه سيغفر لهم أنَّه هو الغفور الرَّحيم، وهذا هو المستفاد من جو الآية ومن سبب نزولها.

قال في مجمع البيان[٢] (نزلت الايات في رجل من الانصار، يقال له: حارث بن سويد بن الصامت. وكان قتل المحذربن زياد البلوي غدرا، وهرب وارتد عن الاسلام، ولحق بمكة ثم ندم، فأرسل الى قومه ان يسألوا رسول الله صلّى الله عليه وآله هل لي من توبة؟ فسألوا: فنزلت الآية إلى قوله (الا الذين تابوا) فحملها اليه رجل من قومه، فقال: انّي لأعلم انك لصدوق، ورسول الله أصدق منك وان الله اصدق الثلاثة ورجع الى المدينة وتاب، وحسن اسلامه وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السَّلام)

ونستفاد من هذه الآية بأنَّ التَّوبة لابد منها وبدونها لا يحصل غفران الذّنوب؛ لأنَّه قال تعالى (واصلحوا) فالإصلاح ضروري في التَّوبة وهو عبارة عن عمل الحسنات وآداء الواجبات وقضاء مافات وغير ذلك

(١) آل عمران: ٨٩.

(٢) الشَّيخ الطّبرسي: ٢ / ٣٣٨-٣٣٩.

هذا من جهة ومن جهة أخرى الاستغفار وحده لا يكفي مالم يتبعه عمل حسنات واستقامة وخاصة اذا كان الطرف مصرًا على المعصية لأنَّ الرَّسول صلّى الله عليه وأله لم يكن ليستغفر لهم مالم يتوبوا.

قال في الميزان[١] (واذا كان مبتلى باختلاف الحال وعدم استقراره فلا توبة له لأنّه غير ثابت على حال الندامة لو ندم على ما فعله، إلّا ان يتوب ويستقر على توبته استقرارا لا يزلزله اختلاف الاحوال، ولاتحركه عواصف الاهواء، ولذا قيد الله سبحانه وتعالى التوبة المقبولة من مثل هذا المنافق بقيود لا تبقي مجالا للتغيير والتحول فقال في الاستثناء الاتي (الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله)

وقال الرازي [٢] في تفسيره (قوله تعالى (الا الذين تابوا واصلحوا....) قالت المعزلة: الآية تدل على أنَّ التوبة من بعض المعاصي من الاصرار على البعض لا تصح لأن قوله واصلحوا عام في الكل)

أقول أنَّ التَّوبة في كلّ المجالات لها حدود ومواقيت، فإذا فاتت لا تقبل فقال الله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾[٣] وفي الحديث

(١) السّيد الطّباطبائي: ٥ / ١١٣.

(٢) تفسير الرّازي: ٤ / ١٨٦.

(٣) المائدة: ٣٤.

عن النَّبي صلّى الله عليه وأله قال: ﴿من تاب قبل أن تطلع الشَّمس من مغربها تاب الله عليه﴾ (١)

ثمَّ أنَّ صاحب مجمع البيان أستدل بآية ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾(٢) على وجوب الاستغفار وأنَّ مجرد الاستغفار لا يكفي مع كونه مصرًا على المعصية، فقال الشَّيخ الطّبرسي (٣) (وفي الآية دلالة على مرتكب الكبيرة، يجب عليه الاستغفار، فإن الله سيتوب عليه بأن يقبل توبته. وتدل أيضًا على أنَّ مجرد الاستغفار لا يكفي مع كونه مصرًا على المعصية، لأنَّه لم يكن ليستغفر لهم الرَّسول، مالم يتوبوا، بل ينبغي أن يتوب ويندم على مافعله ويعزم في القلب على أن لا يعود أبدًا إلى مثله، ثمَّ ليستغفر الله باللّسان، ليتوب الله عليه)

وممّا دعى الله الاستباق إليه التَّوبة والاستغفار فقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ (٤) إنَّ الإنسان بارتكابه الذَّنب يخرج من زمرة المؤمنين

---

(١) الرّازي، الفوائد: ٢٠ / ١٠٦.

(٢) النساء: ٦٤.

(٣) مجمع البيان: ٣ / ١١٨.

(٤) الحديد: ٢١.

وبتوبته واستغفاره يرجع إلى هذه الزّمرة المباركة الّتي جعل الله لهم الجنَّة، فالله سبحانه وتعالى يدعوا إلى الاستباق في المغفرة وهي طلب التّوبة والاستغفار منه تعالى ليغفر للمذنبين وارجاعهم إلى زمرة المؤمنين حتَّى يحوزوا على الجنَّة التي أعدها لهم. في هذه الآية الكريمة يدعو الله المذنبين إلى الرّجوع إلى خط الإيمان والكف عن خط الانحراف والزَّيغ والهوى وارتكاب المعاصي حتَّى يفوزوا بالجائزة الكبرى الّتي أعدّها للمستغفرين والتَّوابين ألَا وهي الجنَّة التي عرضها كعرض السَّماوات والأرض، وكذلك الآية ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١] ومقتضى الجمع بين الآيتين أنَّ المراد بالمسارعة المسابقة أي سارعوا مسابقين إلى سبب مغفرة من ربكم....)[٢]

عن أبي عمر الزّبيدي عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: قلت: «**أخبرني عمَّا ندب الله عَزَّ وجَلَّ المؤمنين إليه الى الاستباق فقال: قول الله عَزَّ وجَلَّ: (سابقوا الى مغفرة...**»[٣] الله سبحانه وتعالى يدعو إلى مغفرة وتوبة منه بل يطلب المسارعة والمسابقة في دخول هذه المغفرة التي كتبها على نفسه

(١) آل عمران: ١٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٦ / ١٨.

(٣) بحار الأنوار: ٦٦ / ١٨.

ليكون الإنسان بعيدًا عن التّسويف والمماطلة في الدّخول في هذا الباب الواسع والعمل الصَّالح الّذي يعبّر عنه القرآن الكريم الحسنات يذهبن السيئات، فهو من أركان التوبة بعد ترك الذَّنب والنَّدم وقضاء ما يمكن قضائه والاستقامة المستمرة.

قال الله تعالى ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[١]

هذه الآية الثَّالثة من الآيات الّتي ذكرناها تحت عنوان الدّعوة إلى التَّوبة، فالله سبحانه وتعالى يدعو عباده الّذين عملوا السّوء أو الّذين ظلموا أنفسهم أن يستغفروه ويتوبوا إليه ومن يفعل ذلك يجد الله غفورًا رحيمًا.

قال في مجمع البيان[٢] (بين تعالى طريق التلافي والتوبة مما سبق منهم من المعصية ومن يعمل أي معصية أو أمرًا قبيحًا أو ارتكاب جريمة، ثمَّ يستغفر الله أي يتوب إليه ويطلب منه المغفرة يجد الله غفورًا رحيمًا، ثمَّ بيَّن الله تعالى أن جريمتهم وإن عظمت، فأنَّها غير مانعة من المغفرة وقبول التَّوبة إذا استغفروا وتابوا.)

فالله سبحانه وتعالى يطلب من عبده المذنب أن يستغفره أي أن يتحرك

---

(١) النساء: ١١٠.

(٢) الشَّيخ الطّبرسي: ٣/ ١٨٥-١٨٦.

ويعمل شيئًا لا أن يقف صامتًا وربّما يكون يائسًا، فيغرقه يأسه في بحر الموبقات والسّيئات، ففي هذه الآية فتح الله باب التَّوبة على مصراعيه للعاصين والمذنبين ووسّع الآفاق للدخول فيه، فأي ذنب يفعله العبد يستغفر الله ومن ثمّ أنَّ باب الله مفتوحًا للتوبة والمغفرة، فإذا جاءه بصدق نية حاملًا معه النَّدم والعمل الصَّالح، يجد الله غفورًا رحيمًا.

قال في الميزان:[١] (من يعمل سوءا أو يظلم نفسه) فيه ترغيب وحث لأولئك الخائنين أن يرجعوا إلى ربّهم بالاستغفار، وتبيّن الآية أنَّ المعصية الَّتي يقترفها الإنسان فيتأثر بتبعتها نفسه وتكتب في كتاب أعماله، للعبد ان يتوب إلى الله منها ويستغفره فلو فعل ذلك وجد الله غفورًا رحيمًا)

وجاء في تفسير العياشي عن رسول الله صلّى الله عليه وأله: (ما من عبد أذنب ذنبًا فقام وتوضأ واستغفر الله من ذنبه إلّا كان حقيقًا على الله أن يغفر له لأنَّه يقول: (من يعمل سوءا او يظلم نفسه ثمَّ يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا وقال: إنَّ الله ليبتلي العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه.... وما كان ليفتح باب التَّوبة ويغلق باب المغفرة وهو يقول (من يعمل سوءا او يظلم نفسه....)[٢]

(١) السّيد الطّباطبائي: ٥ / ٧٤-٧٥.

(٢) السّيد الطّباطبائي، تفسير الميزان: ٥ / ٩٣.

وغيرها من الآيات والرّوايات الّتي تؤدي إلى هذا المعنى، كلّ هذا يريد الله من العبد أن لا يبتعد عنه ويكون قريبًا منه فيدخله في فرقة المؤمنين حتَّى ولوكان عاصيًا أو مرتكبًا لذنب، ففتح له باب التَّوبة الوسيع والمترامي الأطراف حتَّى يرجع إلى هذه الفرقة فينجيه مما هو فيه ويدخله جنَّة عرضها كالسَّموات والأرض.

التَّوبة من الله ابتداءً

إنَّ التَّوبة من الله ابتداءً حيث هو الذي فتح هذا الباب وسمح بدخوله قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾(١) فدعي الله سبحانه وتعالى إلى توبته، فبدأ التَّوبة منه تعالى وهذه التّوبة متقدمة على توبة عباده قال في مجمع البيان(٢) (ثم تاب عليهم ليتوبوا أي: ثمَّ سهّل الله عليهم التَّوبة حتَّى تابوا وقيل: ليتوبوا أي: ليعودوا إلى حالتهم الأولى قبل المعصية)

وقال في الميزان: (٣) قال تعالى: ﴿ثمَّ تاب عليهم ليتوبوا﴾: وهذه هي التَّوبة الأولى وقال تعالى: ﴿فأولئك أتوب عليهم﴾(٤) وهذه التَّوبة الثَّانية

---

(١) التوبة: ١١٨.

(٢) الطّبرسي: ٥ / ١٣٨.

(٣) السّيد الطّباطبائي: ٤ / ٢٣٧.

(٤) البقرة: ١٦٠.

وبين التوبتين منه تعالى توبة العبد إذن الفضل أولًا وآخرًا واليد الطولى إلى صاحب التَّوبة الأولى والذي بدأها وفتح بابها وهو الله سبحانه وتعالى حيث وضع التَّسهيلات الواسعة في دخولها

والاستغفار من المعاصي والذنوب، ثمَّ دعا عباده للتوبة والاستغفار، ثم بعد ذلك يقبل التَّوبة من عباده فوقعت توبة العبد بين توبتين لله تعالى الأول التي بدأ بها وسهّلها على العباد للدخول فيها، والثّانية وقعت بعد استغفار العبد وتوبته وهي التي تسمى قبول التَّوبة منه تعالى، فهو الّذي يقبل التَّوبة من عبادة إذا كانت خالصة لوجهه وعمل العبد باركانها وسعى وتحرك في تحقيقها قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾(١) قال أمير المؤمنين عليه السَّلام «باب التَّوبة مفتوح لمن أرادها، فتوبوا إلى الله توبة نصوحا»(٢)

قبول التَّوبة

مما يدل على أنَّ توبة المذنب مقبولة الآيات والرَّوايات والإجماع والعقل:

١ – الآيات الكريمة:

أ– الآية الأولى:

---

(١) الشورى: ٢٥.

(٢) أبي الفتح الكراجكي، كنز الفوائد:١ / ٣٥٢.

قال الله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾[١]

قال في مجمع البيان:[٢] (غافر الذنب معناه: وان من شأنه غفران الذنب فيما مضى، وفيما يستقبل (وقابل التوب) يقبل توبة من تاب اليه من المعاصي بأن يثيب عليها، ويسقط عقاب معاص تقدمتها على وجه التّفضل منه)

قال في الميزان[٣] (الاتيان بصيغة اسم الفاعل في (غافر الذنب وقابل التوب لعله للدلالة على الاستمرار التجددي فإن المغفرة وقبول التوب من صفاته الفعلية ولا يزال تعالى يغفر الذنب ثمَّ يغفر ويقبل التوب ثمَّ يقبل)

من رحمة الله وسع المغفرة وجعلها مفتوحة من كل باب وفي كل وقت، فعدَّ صاحب تفسير الأمثل[٤] سبعة أبواب للمغفرة الإلهيَّة:

١- التوبة: إذ في آية ٨ من سورة التَّحريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...﴾

٢- الإيمان والعمل الصَّالح: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ

(١) غافر: ٣.

(٢) الشَّيخ الطّبرسي: ٨/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٣) السّيد الطّباطبائي: ١٧ / ٣٠٣.

(٤) الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازي: ١٥ / ١٨٣.

سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (محمد: ٢)

٣- التقوى: ومصداقها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ...﴾ (الأنفال: ٢٩)

٤- الهجرة والجهاد والشَّهادة: ومصداقها الآية ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾(آل عمران: ١٩٥)

٥- صدقة السّر: قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(البقرة: ٢٧١)

٦- الاقراض: قال تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾(التّغابن: ١٧)

٧- اجتناب كبائر الذنوب: حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾(النساء: ٣١)

ثمَّ قال (هكذا يتبين لنا أنَّ أبواب المغفرة الإلهيَّة مفتوح من كلّ مكان،

وأنَّ عباد الله بوسعهم طرق هذه الأبواب والولوج إلى المغفرة الالهية.

أقول: هذه التَّوبة وهذه أبوابها الواسعة التي جعلها الله مختلفة المواضيع ومتنوعة الأعمال، فإذا المذنب لم يقتنص الفرصة لدخول باب معين من هذه الأبواب لأي سبب كان.

فعليه أن لا يفوت الفرص الأخرى لدخول أي باب من أبواب التَّوبة لتشمله الرَّحمة الإلهية الذي فتحها لعباده من خلال التَّوبة فتنتشله من حوض وباء السَّيئات والمعاصي وارتكاب الذنوب ومن الطّريق المنحرف إلى الطّريق المستقيم طريق الهدى والإصلاح وعمل الحسنات وإذا بعمله هذا يدخل الجنَّة.

إذن على المذنب أن يدخل هذه الأبواب الواسعة ويتوب إلى ربّه توبة نصوحًا خالصة لله تعالى، ويترك ماهو فيه ويعمل الحسنات حتَّى يجد الله له عونًا توابًا رحيمًا، عن أمّ سلمة قالت كان رسول الله صلّى الله عليه وأله بالآخرة لايقوم ولايجيء ولا يذهب إلّا قال: سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه) فسألناه عن ذلك فقال صلّى الله عليه وأله «إنّي أمرت بها»[١]

(١) الشّيخ الطّبرسي، مجمع البيان: ١٠ / ٤٦٧.

ب- الآية الثّانية

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[١]

هذه الآية الثَّانية الّتي تدل على أنَّ الله سبحانه وتعالى يتوب على المذنب إذا دخل في التّوبة حيث قال الله تعالى: (يقبل التوبة عن عباده) وهذا تصريح منه تعالى على قبول التوبة من المذنبين إذا دخلوا باب التَّوبة وأصلحوا أنفسهم وعملوا صالحًا.

قال في الكشاف: [٢] (يقال قبلت منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه: أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه، ومعنى قبلته عنه: عزلته عنه وابنته عنه...)

وقال في المفردات: [٣] (القبول الذي يقتضي الرّضا والاثابة) وقال في المصباح (وهو الذي يقبل التوبة من عباده) ويسهل لهم أبواب التَّوبة وكلّما تكررت التَّوبة من العبد تكرر منه القبول)[٤]

---

(١) الشّورى: ٢٥.

(٢) الزّمخشري: ٤/ ٢٤٣.

(٣) الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: ٤٠٨.

(٤) الكفعمي، المصباح: ٣٢٨.

إذن المولى عَزَّ وجَلَّ يأخذ التَّوبة من عباده وهو راضٍ عنهم وبأحسن قبول وكلمة قبول التَّوبة من الله تحمل في طياتها المحبة والرَّحمة وانفتاح الصّدر والرَّغبة في المغفرة والعفو عن المذنب، وهذا عامل آخر يساعد في الدّخول إلى التَّوبة لما يرى المذنب صفات الله عَزَّ وجَلَّ بهذه الكيفية وتؤخذ منه التَّوبة بهذه الحفاوة والتّرحيب والقبول بلا شك يسارع ويسابق إليها إلّا من كان قلبه مقفلًا وكانت عاقبته سوءًا. فعلينا أن نتلبس لباس التّوبة بل نسارع في الوغل كما دعانا الله إلى ذلك قبل فوات الأوان حينئذٍ لا ينفع مندم ولا ينفع ارجعوني لعلي أعمل صالحًا، عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: «إنَّ الله عَزّ وجَلَّ يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب كما يفرح أحدكم بضالته إذا وجدها»(١)

ج- الآية الثالثة:

﴿سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾(٢)

والتواب: يقبل التَّوبة من عباده(٣)

---

(١) الشّيخ الكليني، الكافي: ٢ / ٤٣٤.

(٢) النصر: ٣.

(٣) الشّيخ الصَّدوق، معاني الأخبار: ٤٤.

وقال الرّاغب الأصفهاني: [(١)] (التّواب قد يقال لله ذلك لكثرة قبوله توبة العباد حالا بعد حال)

قال الشّيخ الطّبرسي: [(٢)] (انه كان توابا) يقبل توبة من بقي كما قبل توبة من مضى)

تقريب الاستدلال: إنَّ هذه الآية تحتوي على كلمة تواب والتَّواب على كلّ حال يقبل التَّوبة وأطلقت على المولى عَزَّ وجَلَّ؛ لأَنَّه هو كثير ما يقبل التّوبة من صاحبها وبهذا تدل الآية على أنَّ الله يقبل التَّوبة لمن يستغفره ويتوب إليه.

قال مقاتل: لما نزلت هذه السّورة (النّصر) قرأها صلّى الله عليه وأله على أصحابه ففرحوا واستبشروا، وسمعها العباس فبكى فقال: صلّى الله عليه وأله: ما يبكيك يا عم؟ فقال: أظن أنَّه قد نعيت إليك نفسك يارسول الله، فقال: إنّه لكما تقول، فعاش بعدها سنتين ما رؤي فيهما ضاحكًا مستبشرًا، عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت السّورة (النَّصر) كان النَّبي صلّى الله عليه وأله يقول كثيرًا: (سبحانك اللّهمَّ وبحمدك. اللّهمَّ اغفرلي أنَّك

(١) المفردات في غريب القرآن: ٨١.

(٢) مجمع البيان: ١٠ / ٤٦٧.

أنت التَّواب الرَّحيم)[١] قال في مجمع البيان: [٢] (فأنَّ الله يتوب عليه) أي يقبل توبته باسقاط العقاب بها عن المعصية الّتي تاب منها ووصف الله بأنّه يتوب على التّائب فيه فائدة عظيمة، وهي أنَّ في ذلك ترغيبًا للعاصي في فعل التّوبة ولذلك وصف نفسه تعالى بالتَّواب الرَّحيم ووصف العبد بأنه تواب ومعناه أواب وهو من صفات المدح) في هذه الآيات الثّلاث كفاية في الاستدلال على قبول التوبة والآن نأتي إلى الرَّوايات.

٢- الرّوايات

أ- الرّواية الأولى:

عن النَّبي صلّى الله عليه وأله قال: «**من تاب قبل موته بسَنَة قبل الله توبته، ثمَّ قال: إنَّ السَّنَة لكثير، من تاب قبل موته بشهر، قبل الله توبته، ثمَّ قال: إنَّ الشهر لكثير، من تاب قبل موته بجمعة، قبل الله توبته، ثمَّ قال: إنَّ الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم قبل توبته، ثمَّ قال: إنَّ يومًا لكثير، من تاب قبل أن يعاين ملك الموت، قبل الله توبته**»[٣]

ذكر الإمام هذه الأوقات لبيان الوقت الواسع الذي منح للمذنب

---

(١) الشّيخ الطّبرسي، مجمع البيان: ١٠ / ٤٦٧.

(٢) الشّيخ الطّبرسي: ٣ / ٣٢٦.

(٣) محمد مهدي النراقي، جامع السَّعادات: ٣ / ٦٧.

لدخول التَّوبة، وعند دخوله إيّاها تقبل منه، فعلى الإنسان أن يكون في حذر من التَّسويف والتَّأجيل للتوبة وإذا به يدركه الوقت حتَّى تصل النَّفس إلى الغرغرة حينئذٍ لا تقبل من المذنبين، ويقع في ندامة وحسرة دائمة، بل يكون حصب جهنم؛ بسبب اقترافه من الذّنوب والآثام وعدم استغلاله للرحمة الإلهيَّة التي فتح بابها لعباده ألا وهي التَّوبة، هذا الباب المنجي والمنقذ للإنسان يخرجه من الظُلمات إلى النَّور ومن الضَّلالة إلى الهدى، فلننظر بعين الواقع والحقيقة الإلهيَّة الّتي لا يشوبها الشَّك ولا يمازجها الرَّيب بعد الآيات والرَّوايات التي طرقت أسماع القارئ الكريم والّتي تتحدث عن قبول التَّوبة من العبد التَّائب والتي دخل بابها بنيّة صافية وبندم يقرح القلب وبعمل حسنات متتالية تجلي الرَّين الّذي تراكم على القلب طيلة فترة ارتكاب المعاصي ويزيل آثار الذّنوب المتراكمة عليه، قال أمير المؤمنين عليه السَّلام في الحث على التّوبة: «**تأخير التَّوبة اغترار، وطول التَّسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والاصرار على الذّنب أمن به لمكر الله فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون**»[1]

ب- الرّواية الثّانية

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: «**يا محمد بن مسلم،**

(١) أبي الفتح الكراجكي، كنز الفوائد: ٢ / ٣٣.

ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التَّوبة والمغفرة، أما والله أنَّها ليست إلّا لأهل الإيمان قلت. فأنَّ عاد بعد التَّوبة والاستغفار من الذّنوب وعاد في التَّوبة؟ فقال: يامحمد بن مسلم، أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب ثمَّ لا يقبل الله توبته؟ قلت: فإن فعل ذلك مرارًا، يذنب، ثمَّ يتوب ويستغفر الله فقال: كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتَّوبة عاد الله عليه بالمغفرة وأنَّ الله غفور رحيم، يقبل التّوبة ويعفو عن السَّيئات، فإياك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله »(١)

هذه الرواية تريد ان تؤكد بأن التوبة مقبولة بدلالة الاستفهام الانكاري في همزة الانكار في جملة (أترى العبد) وهذا الاستفهام فيه دلالة على أنَّ التّوبة مقرونة بالقبول البتة ثمَّ أنَّ الإمام عليه السَّلام يحذر من القنوط من رحمة الله الّتي فتحها لعباده حتَّى وإن كرّر المغفرة والاستغفار مرارًا، فيجد الله توابًا غفورًا، ويدل على ذلك أيضًا قول أمير المؤمنين عليه السَّلام «**ما كان الله ليفتح على عبد باب التّوبة ويغلق عنه باب المغفرة**»(٢)

نحن نعرف أنَّ الأحكام الإلهيَّة صادرة عن حكمة ومصلحة وراعى المشرع فيها الفائدة والمنفعة للفرد والمجتمع وخالية من اللغو والإفراط

---

(١) الشّيخ الكليني، الكافي: ٢/ ٤٣٤.

(٢) الشّيخ الكليني، الكافي: ٢ / هامش ص٤٣٤.

والتَّفريط وبناءً على هذا فأنّه لما فتح باب التَّوبة فلا بد من قبولها وإلّا وقع تشريع التّوبة لغوًا وتعالى الله عن ذلك.

ج- الرَّواية الثّالثة

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: سمعته يقول: «**التّائب من الذّنب كمن لا ذنب له والمقيم على الذّنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ**»[١]

الإمام عليه السَّلام بقوله (كمن لاذنب) هذه عبارة أخرى على أنَّ التَّائب يقبل الله توبته ومن آثار القبول محو الذّنوب، فيصير التَّائب بمنزلة من لا ذنب عليه من ناحية عدم العقوبة، وبهذا يرشد الحديث ويحث على سلك طريق التّوبة وهو الطّريق الذي شرّعه الله تعالى للمذنبين تفضلًا منه على عباده حتَّى يكونوا في أمل وعمل دائمين، وبالتَّالي تكون النَّتيجة لصالحهم حيث تخرجهم من أوزار الذنوب والآثام إلى حسنات العمل الصَّالح وإلى مبدأ وقانون الحسنات يذهبن السَّيئات.

الدّليل الثَّالث

الإجماع

يعدّ الإجماع الدّليل الثَّالث للاستدلال على ثبوت قبول التَّوبة من الله عَزّ

(١) الشّيخ الكليني، الكافي:٢ / ٤٣٥.

وجَلَّ قال في مجمع الفائدة: (وعموم أدلة قبول التَّوبة من الآيات والاخبار والاجماع)[(١)]

وقال الشَّيخ المفيد [(٢)] (اتفقت الامامية على قبول التّوبة)

وأمّا العقل فهو الذي يدعوا إلى قبول التَّوبة مادام فيها مصلحة للفرد ونجاته من أوزاره الّتي يحملها على ظهره أزاء ارتكاب الذّنوب مادامت الأحكام الشَّرعية قائمة على المصالح والمفاسد هذا من جهة ومن جهة أخرى لو لم يكن القبول موجودًا يكن تشريع التَّوبة لغوًا وبغير فائدة

وعلا الله عن ذلك علوًا كبيرًا قال الشّيخ المفيد: (والعقل يدل على قبول التّوبة)[(٣)]

سؤال: يطرح سؤال في المقام على قبول التّوبة وهو هل قبول التّوبة واجبة على الله عَزَّ وجَلَّ أو تفضلًا منه تعالى؟

الجواب:

قال في مجمع البيان:[(٤)] (ومما يدل على قبول التَّوبة بفضل من الله سبحانه

---

(١) المحقق الأردبيلي: ٣/ شرح ٢٠٠.

(٢) أوائل المقالات: ٤ / ٤٦.

(٣) الفصول المختارة: ٢ / ٣٣.

(٤) الشَّيخ الطّبرسي: ٥ / ١٢٠.

وتعالى الآية ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾[(١)] لأَنَّه لو كان واجبًا لما جاز تعليقه بالمشيئة)

وقال أيضًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[(٢)] فيه دلالة على أنَّ قبول التَّوبة تفضل من الله)[(٣)]

وقال الرَّازي[(٤)] في تفسيره: (قال: المصنف دلت الآية ﴿فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾[(٥)] على أنَّ قبول التَّوبة غير واجب على الله تعالى لأَنَّه تعالى تمدح بقبول التوبة...بفضل... لا بأداء واجب) وقال في بحار الأنوار:[(٦)] (إذ التَّوبة لا يجب على الله قبوله عقلًا إلّا بما أوجب على نفسه من قبول توبة عباده تفضلًا)

وبهذه الأقوال يتضح الجواب حيث أن الله تمننًا منه ورحمة وتفضلًا على عباده قَبِل التَّوبة منهم، وهو صاحب اليد الطّولي ابتداءً بفتح باب التَّوبة الواسع، وجعل له مرغبات متعددة كما تقدم، وحث عليها وحبب الدخول

(١) التوبة: ١٠٦.

(٢) البقرة: ١٧٣و١٨٢.

(٣) الشَّيخ الطّبرسي: ٣/ ٣٢٦

(٤)–تفسير الرَّازي: ١١/ ٢٣٠.

(٥) المائدة: ٣٩.

(٦) الشّيخ المجلسي: ١٣/ ١٣٠.

فيها والشَّيخ المفيد يصرح على أن الاماميَّة اتفقت كلمتها بأن قبول التَّوبة تفضل منه تعالى فقال: (اتفقت الامامية على أنَّ قبول التَّوبة تفضل من الله وليس بواجب في العقول، اسقاطها لما سلف من استحقاق العقاب، ولولا السَّمع ورد بإسقاطها جاز في العقول فعله في التائبين على شرط الاستحقاق ووفاقهم في ذلك أصحاب الحديث)[١]

الدّعاء وآثاره في غفران الذّنوب

الدعاء: واحد الأدعية وأصله دعا؛ لأنَّه من دعوت إلّا أنَّ الواو لما جاءت بعد الألف همزت.

والدّعاء: الرّغبة الى الله عَزَّ وجَلَّ [٢]

وقال الرّاغب الأصفهاني [٣] في قوله تعالى (ادع لنا ربك) أي سله والدعاء إلى الشيء الحث إلى قصده.

إنَّ الدّعاء من الأمور الّتي أمرنا الله بها ادعوني استجب لكم فأمرنا

---

(١) الشَّيخ المفيد، اوائل المقالات: ٤ / ٤٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب: ٤ (مادة دعا)

(٣) المفردات في غريب القرآن: ١٧٧.

بالدّعاء وضمن لنا الاجابة كما فتح لنا باب التّوبة وضمن القبول تفضلًا وتحننًا وتبين ذلك ممّا تقدّم وهو الذي عليه أتباع أهل البيت عليهم السَّلام كما صرح الشّيخ المفيد بذلك، قال الامام زين العابدين عليه السَّلام في دعائه لطلب التَّوبة: «**اللّهمَّ أنّي أتوب إليك في مقامي هذا من كبائر ذنوبي وصغائرها، وبواطن سيئاتي وظواهرها، وسوالف زلّاتي وحوادثها، توبة من لا يحدث نفسه بمعصية، ولا يضمر أن يعود في خطيئة، وقد قلت يا إلهي، في محكم كتابك، أنَّك تقبل التَّوبة عن عبادك، وتعفو عن السَّيئات وتحب التَّوابين فاقبل توبتي كما وعدت، واعف عن سيئاتي كما ضمنت، وأوجب لي محبتك كما شرطت، ولك يا ربي، ألّا أعود في مكرهوك، وضماني أن لا أرجع في مذمومك، وعهدي أن أهجر جميع معاصيك**»(١)

يدعو الإمام عليه السَّلام الله سبحانه وتعالى أن يتوب عليه في هذا الوقت الحاضر من كبائر الذنوب وصغائرها وفي هذا المعنى كلام عند العلماء الكرام موكول إلى الكتب المخصصة بهذا الشأن لكن عمومًا الذّنوب الكبيرة، مثل القتل والزّنا والشّرك وبعض الذّنوب الصغيرة كالظهار والإيلاء ومن بواطن المعاصي التي لم يظهرها والتي أظهرها للناس، (وسوالف زلاتي) جمع سالفة والزّلة المعصية أي ماتقدم من معاصي (وحوادثها) التي أحدثها

(١) دعاء الامام زين العابدين عليه السَّلام في ذكر التّوبة وطلبها، (الصحيفة السجادية)

جديدًا (توبة من لا يحدث نفسه بمعصية) بأن يعزم على ترك العصيان (ولا يضمر) أي: لا ينوي (أن يعود في خطيئة أي: في ذنب (وقد قلت يا الهي في محكم كتابك) أي كتابك المحكم الذي لا يجد الباطل والنقص والفسخ إليه سبيلًا (انك تقبل التوبة عن عبادك وتعفو عن السيئات) قال سبحانه: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾[١] (وتحب التوابين) قال سبحانه ﴿ان الله يحب التوابين﴾[٢] (فاقبل توبتي كما وعدت) يا إلهي (واعف عن سيئاتي كما ضمنت) في الآية السَّابقة، فوعد الكريم ضمانة (واوجب محبتك) بأن تحبني (كما شرطت) حيث قبلت ويحب المتطهرين (ولك يا رب شرطي) أي:اشترط والتزم انا عفوت عني او التزم أن عفوت أو لم تعفو (الا اعود في مكروهك اي: في عمل ات تكرهه (وضماني) أي أضمن (ان لا ارجع في مذمومك) أي: في عمل تذمه (وعهدي) اتعهد (ان اهجر) وافارق (جميع معاصيك) يعني جميع مخالفتك.

إذا نظرنا بعين بصيرة، نجد كلمات الإمام عليه السَّلام نابعة عن عمق معرفته بالقرآن الكريم، بل هي مطابقة له، وهذا ما أمرنا أهل البيت أن نأخذه ونعمل به هذا أولا وثانيًا يعلّمنا الإمام عليه السّلام كيف ندعو الله

(١) الشورى: ٢٥.

(٢) البقرة: ٢٢٢.

سبحانه وتعالى أن يغفر لنا ذنوبنا وكيف فتح باب التوبة وضمن قبولها من خلال ذكره للآية ٢٥ من سورة الشّورى وهذا امام معصوم يدعو بهذا الدعاء فكيف بنا؟ ونحن الخطاؤون فما علينا إلّا نحذو حذو الإمام عليه السَّلام ونسارع للتوبة وندعو الله بنيات صادقة وبتوبة نصوحًا وبقلوب مكسورة ومفجوعة وبأظهر فاقرة أثقلتها الذّنوب والآثام وبخواطر يمازجها الأمل والعمل لعل أنَّ يقبل دعوتنا ويجعلنا من زمرة التَّوابين والمتطهرين الذي طهرهم من دنس الذّنوب والآثام. وعفى عن السَّيئات وأسكنهم جنات عرضها كعرض السَّموات والأرض.

قال أمير المؤمنين عليه السَّلام «**فأعملوا في نفس البقاء والصّحف منشورة والتّوبة مبسوطة والمدبر يدعى والمسيء يرجى قبل أن يخمد العمل، وينقطع المهل، وينقضي الأجل ويسد باب التَّوبة وتصعد الملائكة**»(١)

في هذه الخطبة يوصينا أمير المؤمنين عليه السَّلام بالعمل مادمنا باقين في هذه الحياة الدّنيا ومادام صحف الأعمال منشورة لكتابة الصّالحات والتَّوبة مقبولة تفضلًا منه تعالى كما قال في كتابه العزيز «**وهو الذي يقبل التّوبة عن عباده ويعفو عن السَّيئات**»

---

(١) نهج البلاغة: ٢ / ٢٢٩.

إذن مادام الإنسان في هذه الحالة (البقاء) فليعمل وليتوب ويستغفر الله؛ لأنَّه بعدما يسد باب التّوبة وذلك إذا وصلت نفسه للغرغرة وحالة النزع ساعدنا الله واياكم عليها ورأى ما رأى حينئذٍ تكون الحسرة والنَّدامة الدَّائمة على ما أفرط وضيّع من طرق الخير وعمل الصَّالحات والتَّوبة التي كانت مفتوحة لفترة طويلة من حياته، بل في حياته جميعها إلى أن وصلت النَّفس إلى الغرغرة وبعدها ينتهي العمل وتنقطع المهلة التي أعطيت للتوبة، وتصعد الملائكة حاملة كتابه لعرض أعماله.

ثمَّ أنَّ الدّعاء أحد الوسائل التي شرعها الله سبحانه وتعالى للعبد ليستغفره به ويتوب إليه بواسطته من ارتكاب المعاصي ومهما كانت كبيرة، فليحمل الرَّجاء والأمل والعمل الصَّالح ويحسن الظّن بربّه، فيجده معه ويساعده على ذلك، أنَّه التَّواب الغفور.

دعاء يعقوب عليه السَّلام لاولاده

يسرد علينا القرآن الكريم دعاء النَّبي يعقوب عليه السَّلام لأولاده حين طلبوا منه ذلك «**قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ**

أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»[١]

قال في مجمع البيان:[٢] (إنَّه كان يقوم، وبصف أولاده خلفه عشرين سنة، يدعو ويؤمنون على دعائه واستغفاره لهم، حتَّى نزل قبول توبتهم)

وروي أن جبرائيل عليه السَّلام علّم يعقوب هذا الدّعاء (يارجاء المؤمنين، لا تخيب رجائي، و يا غوث المؤمنين، اغثني، و يا عون المؤمنين اعنّي، و يا حبيب التّوابين، تب عليَّ واستجب لهم)[٣]

عن الفضل بن أبي قرة عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: خير وقت دعوتم الله فيه الأسحار وتلا هذه الآية في قول يعقوب (سوف استغفر لكم ربّي) أخرهم إلى السَّحر.[٤]

وروي نظيره عن ابن عباس: إنَّ النَّبي صلّى الله عليه وأله سئل لمَ أخّر يعقوب بنيه في الاستغفار ؟ قال أخّرهم إلى السَّحر، لأن دعاء السَّحر مستجاب[٥]

(١) يوسف: ٩٧و٩٨.
(٢) للشيخ الطبرسي ج٥ ص٤٥٥
(٣) للشيخ الطبرسي ج٥ ص٤٥٥
(٤) الميزان للسيد الطباطائي ج١١ ص٢٥٢
(٥) الميزان للسيد الطباطائي ج١١ ص٢٥٢

نعم توجد أوقات وأماكن يستجاب بها الدّعاء مثل وقت السَّحر كما ذكرت الرَّواية ووقت نزول المطر ويوم الجمعة وغيرها، ومن الأماكن مكة المكرمة، بيت الله الحرام، المسجد الحرام، المسجد النبوي، تحت القبة الحسينية وغيرها لكن المهم هو دعاء النَّبي يعقوب عليه السَّلام لأولاده بأن يغفر الله لهم ذنوبهم.

وهذا الاستغفار وارد على لسان نبي معصوم يعطي مشروعية للأستغفار والاعتناء به والجري على مسرى النَّبي يعقوب عليه السَّلام ونحذي حذوه؛ لأنَّ القصص القرآنية التي يسردها القرآن يراد منها الوعظ والارشاد ويختزنها الإنسان الّذي يختلف عن باقي المخلوقات ليستفاد منها في حياته اليومية ويستفاد منها كخزين في علاج ما يصيبه من مشاكل، قال الإمام الصَّادق عليه السَّلام: «**المؤمن لا يلسع من جحر مرتين**»(١)

(١) الشّيخ الكليني، الكافي: ٢ / ٢٤١، وفى رواية لا يلدغ واللسع واللدغ سواء. والجحر: ثقب الحية وهو استعارة هنا أي لا يدهى المؤمن من جهة واحدة مرتين فإنه بالأولى يعتبر وهذا على وجه الخبر ويحتمل النهى وهذا من قول النّبي (صلّى الله عليه وأله) كما رواه مسلم في صحيحه وسبب قوله هذا أن أبا غرة الشاعر أخا مصعب بن عمير كان أسر يوم بدر فسال النّبي (صلّى الله عليه وأله) أن يمن عليه ففعل وعاهده أن لا يحرص عليه ولا يهجوه فلما لحق باهله عاد إلى ما كان عليه فاسر يوم أحد فسأله أيضًا أن يمن عليه فقال النبي (صلى الله عليه وأله) هذا الكلام البليغ الجامع الذي لم يسبق إليه.(هامش: ٢٤٣)

دعاء الامام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشّريف لشيعته

نقل عن ابن طاوس رحمه الله أنّه سمع سحرًا في السرداب من صاحب الأمر عليه السَّلام أنَّه يقول «**اللّهمَّ أنَّ شيعتنا خلقت من شعاع أنوارنا وبقية طينتنا، وقد فعلوا ذنوبا كثيرة اتكالًا على حبّنا وولايتنا، فإن كانت ذنوبهم بينك وبينهم فاصفح عنهم فقد رضينا، وماكان منها فيما بينهم فاصلح بينهم وقاص بها عن خمسنا، وادخلهم الجنة، وزحزحهم عن النار، ولا تجمع بينهم وبين اعدائنا في سخطك**» وجاء هذا الدعاء بعبارة أخرى وهي

«**اللّهمَّ أنَّ شيعتنا ممّا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا اللّهمَّ اغفر لهم من الذّنوب مافعلوه اتكالًا على حبّنا وولائنا يوم القيامة ولا تؤاخذهم بما اقترفوه من السَّيئات اكرامًا لنا، ولا تقاصهم يوم القيامة مقابل اعدائنا فإن خففت موازينهم فثقلها بفاضل حسناتنا**»(١)

كيفما كان الوارد على لسان الأنبياء أو الأئمة الاستغفار لأنفسهم ولغيرهم وهم معصومون وأقرب النَّاس إلى الله تعالى بعد خاتم الأنبياء محمد صلّى الله عليه وأله وبناءً على الآية الكريمة «**ادعوني استجب لكم**» وهذا وعد وعهد من الله سبحانه وتعالى إذن الله سبحانه وتعالى يغفر

---

(١) العلاّمة المجلسي، بحار الأنوار: ٥٣ / ٣٠٢.

للمذنبين بفضل دعاء الأنبياء والأئمة عليهم السَّلام والأولياء الصَّالحين الّذين كتبت على أيديهم التَّوبة لمن يدعون له فقد ورد في زيارة الإمام المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف «**السّلام عليك حين تحمد وتستغفر**»[١]

فهو الرّكن الركين ولولاه لساخت الأرض بأهلها وهو الصَّمام الأمان لهم ونختم كتيبنا هذا برواية عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السَّلام قال: إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أوحى إلى داود عليه السَّلام أن ائت عبدي دانيال فقل له: إنَّك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك[٢] فإن عصيتني الرّابعة لم اغفر لك، فأتاه داود عليه السَّلام فقال: يا دانيال، أنني رسول الله إليك وهو يقول لك: إنك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك، فإن أنت عصيتني الرّابعة لم أغفر لك، فقال له دانيال: قد أبلغت يا نبي الله، فلمَّا كان في السَّحر قام دانيال: فناجى ربّه فقال: يا ربّ، أنَّ داود نبيَّك اخبرني عنك انني قد عصيتك فغفرت لي، وعصيتك فغفرت لي، وعصيتك فغفرت لي واخبرني عنك أنني ان عصيتك الرّابعة لم تغفر لي، فوعزتك لئن لم تعصمني لأعصينك، ثمَّ لأعصينك، ثم

---

(١) الشّيخ الطّبرسي، الاحتجاج: ٢ / ٥٩١.

(٢) العصيان محول على ترك الاولى لأن دانيال عليه السلام كان من الانبياء وهم معصومون من الكبائر والصغائر عندنا.

لأعصينك[١]»[٢]

نعم، يا نبي الله، كيف بنا ونحن الخطّاؤون؟

ماعندنا إلّا أن نقول لله عَزَّ وَجَلّ كما علّمنا ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٣]

والحمد لله ربّ العالمين

٤/ رمضان المبارك/ ١٤٣٩ هـ

٢٠/ ٥/ ٢٠١٨م

(١) لئن لم تعصمني لأعصينك، فيها مع الاقرار بالتقصير اعتراف بالعجز عن مقاومة النفس واهوائها وحث على التوسل بذيل الطّافه الرَّبانية والاستعاذة من التسويلات النفسانية والوساوس الشيطانية.

(٢) الشّيخ الكليني، الكافي: ٢ / ٤٣٦.

(٣) هود: ٨٨.

المحتويات